

عنوان البحث

الاحتباك في القرآن الكريم: دراسة بنيوية أسلوبية دلالية تحليلية

د. عبدالحفيظ خضر محمد بادي¹

¹ أستاذ البلاغة والنقد المساعد، كلية اللغات والعلوم الإنسانية - بريدة، جامعة القصيم، المملكة العربية السعودية

بريد الكتروني: bady@qu.edu.sa

HNSJ, 2025, 6(11); <https://doi.org/10.53796/hnsj611/29>

المعرف العلمي العربي للأبحاث: <https://arsri.org/10000/611/29>

تاريخ النشر: 2025/11/01م

تاريخ القبول: 2025/10/15م

تاريخ الاستقبال: 2025/10/07م

المستخلص

تُعد هذه الدراسة بتحليل ظاهرة الاحتباك في القرآن الكريم من منظور جديد يجمع بين المناهج الأسلوبية، والبنيوية، والدلالية. وتهدف إلى الكشف عن الأبعاد الخفية لهذه الظاهرة، التي تتجاوز مجرد الحذف البلاغي التقليدي. لقد تبنت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، حيث قامت بتأصيل المفهوم نظرياً، ثم طبّقت على خمس آيات قرآنية مختارة، تمثل كل آية نوعاً من أنواع الاحتباك.

أظهرت نتائج التحليل أن الاحتباك ليس مجرد أداة للإيجاز، بل هو خيار لغوي مقصود يخدم أغراضاً متعددة: فهو أسلوبياً يساهم في تكثيف المعنى وإحداث أثر جمالي، وبنيوياً يعمل على إحكام ترابط النص وتماسكه، ودلالياً يضيف طبقات من المعاني العميقة. كما أكدت الدراسة على أن هذه الظاهرة تتفق مع أسس نظرية النظم، مما يؤكد انسجام البلاغة القرآنية مع المفاهيم اللغوية الحديثة. وفي الختام توصي الدراسة بتوسيع البحث عبر المناهج الحديثة ليشمل ظواهر بلاغية أخرى، إثراء للمكتبة القرآنية واللغوية.

الكلمات المفتاحية: الاحتباك، القرآن الكريم، دراسة أسلوبية، دراسة بنيوية، دراسة دلالية، نظرية النظم، الإعجاز القرآني.

RESEARCH TITLE

Ellipsis in the Holy Quran: Structural, Stylistic, Semantic, and Analytical Study

Dr. Abdelhafiz Khidir Mohammed Badi¹

¹ Assistant professor of rehtoric and criticism-Depatment of Arabic Language-College of languages and Humanities- Qassim. University Buraida

Email: bady@qu.edu.sa

HNSJ, 2025, 6(11); <https://doi.org/10.53796/hnsj611/29>

Arabic Scientific Research Identifier: <https://arsri.org/10000/611/29>

Received at 07/10/2025

Accepted at 15/10/2025

Published at 01/11/2025

Abstract

This study focuses on analyzing the phenomenon of *Iḥtibāk* (ellipsis through mutual implication) in the Holy Qur'an from a new perspective that integrates stylistic, structural, and semantic approaches. It aims to uncover the hidden dimensions of this phenomenon, which go beyond the traditional rhetorical notion of omission. The study adopts a descriptive-analytical method, establishing the concept theoretically before applying it to five selected Qur'anic verses, each representing a distinct type of *Iḥtibāk*.

The results reveal that *Iḥtibāk* is not merely a tool for brevity but a deliberate linguistic choice serving multiple purposes: stylistically, it intensifies meaning and creates aesthetic impact; structurally, it reinforces textual cohesion and unity; and semantically, it adds layers of profound meaning. The study also confirms that this phenomenon aligns with the principles of the *naẓm* (syntactic harmony) theory, demonstrating the coherence of Qur'anic rhetoric with modern linguistic concepts. In conclusion, the research recommends expanding future studies through modern methodologies to explore other rhetorical phenomena, thereby enriching the Qur'anic and linguistic corpus.

Key Words: *Iḥtibāk*, Holy Qur'an, stylistic study, structural study, semantic study, theory of *naẓm* (syntactic harmony), Qur'anic inimitability.

مقدمة البحث:

تُعدّ دراسة القرآن الكريم من خلال المناهج اللغوية الحديثة أحد أهم ميادين البحث العلمي المعاصر، لما في ذلك من إغناء لجوانب الإعجاز البياني والجمالي في القرآن الكريم. ومن بين هذه المناهج، يبرز المنهج الأسلوبي الذي يُعنى بتحليل الخصائص اللغوية المميزة للنص، والمنهج البنوي الذي يركز على علاقات الأجزاء ببعضها لتكوين بنية متكاملة.

يتناول هذا البحث ظاهرة بلاغية دقيقة وفريدة في النص القرآني، وهي الاحتباك، وتُعرف هذه الظاهرة بأنها نوع من الحذف المزدوج، الذي يشمل كلمتين أو أكثر من تركيبين متقابلين، بحيث يكون المحذوف من إحدهما مذكوراً في الجملة الأخرى، مما يؤدي إلى إيجاز بليغ وغني بالدلالات.

وتهدف هذه الدراسة إلى تقديم قراءة جديدة لظاهرة الاحتباك، للكشف عن أبعاده البنوية والأسلوبية والدلالية في القرآن الكريم، من خلال تحليل مجموعة من الشواهد القرآنية المنتقاة، حيث تركز الدراسة البنوية على وظيفة الاحتباك في ترابط النص وتماسكه وإحكام بنية الآية القرآنية، وتهتم الدراسة الأسلوبية بالجانب الإبداعي في اللغة، لأن الاحتباك خيار أسلوبي بليغ يخدم غرضاً محدداً، وتبحث الدراسة الدلالية عن المعنى، فالاحتباك يضيف إلى المعنى عمقاً، ويفتح آفاقاً واسعة للتأويل والفهم. وسيعمل البحث على الإجابة عن تساؤلات مركزية، مثل: ما الأغراض البنوية والأسلوبية والدلالية الكامنة وراء الاحتباك؟ وكيف يسهم هذا الحذف في ترابط النص القرآني وتماسكه؟ وكيف يؤثر الاحتباك في دلالة الآية القرآنية؟

مشكلة البحث:

على الرغم من أن ظاهرة الاحتباك قد حظيت باهتمام علماء البلاغة والنحو القدامى، إلا أن دراستها ظلت محصورة في إطار التفسير اللغوي التقليدي، وتكمن مشكلة هذا البحث في عدم وجود دراسات كافية تُعالج هذه الظاهرة من منظور المناهج اللغوية الحديثة، مثل المنهج البنوي الذي يحلّل ترابط الأجزاء، والمنهج الأسلوبي الذي يركز على الخيارات اللغوية، والمنهج الدلالي الذي يبحث في المعنى. وهذا النقص في الدراسات يحد من إمكانية الكشف عن آليات عمل الاحتباك ودوره في إحكام الآيات القرآنية.

أسئلة البحث:

يسعى هذا البحث للإجابة على التساؤلات التالية:

- ما مفهوم الاحتباك وأبرز أنواعه في القرآن الكريم؟
- كيف يساهم الاحتباك في إحكام البنية النصية للآية القرآنية؟
- ما الأبعاد الأسلوبية لظاهرة الاحتباك في الآيات القرآنية؟
- ما هي الأبعاد الدلالية (المعنوية) التي يُضيفها الاحتباك إلى النص القرآني؟
- ما علاقة الاحتباك بالمفاهيم اللغوية الحديثة؟

منهج البحث:

سيعتمد البحث على المنهج الفني الوصفي التحليلي، سبيداً الإطار النظري بوصف ظاهرة الاحتباك من خلال أقوال العلماء القدامى، ثم تحليل الآيات القرآنية المختارة من خلال ثلاثة مناهج متكاملة: المنهج البنوي: لفهم كيفية ترابط أجزاء الآية مع بعضها بفضل الاحتباك، والمنهج الأسلوبي: لتحليل الخصائص اللغوية التي تميز الاحتباك، والمنهج الدلالي: لاستخلاص المعاني العميقة التي يضيفها الحذف.

أهمية البحث:

تكمُن أهمية هذا البحث في أنه يفتح آفاقاً جديدة لدراسة الإعجاز القرآني من خلال المناهج اللغوية الحديثة، ويُقدّم نموذجاً لتحليل الظواهر البلاغية في القرآن الكريم بطريقة منهجية منظمة، ويُعمّق الفهم لطبيعة الاحتباك ودوره في بناء الآيات القرآنية، مما يثري المكتبة العربية بدراسة نوعية في هذا المجال.

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى تحقيق الغايات التالية:

- 1- تأصيل مفهوم الاحتباك، وتطور مصطلحه، وأنواعه في القرآن الكريم.
- 2- تحليل الأبعاد البنيوية، والأسلوبية، والدلالية لظاهرة الاحتباك.
- 3- إبراز العلاقة بين الاحتباك ونظرية النظم، والنظريات الحديثة.
- 4- توضيح دور الاحتباك في إحكام بناء النص القرآني وجماليته.

الدراسات السابقة:

- بحث بعنوان (الاحتباك عند السيوطي - دراسة وصفية تحليلية)، كتبه الدكتور أحمد بن سليمان بن أحمد المنيفي، قسم التفسير وعلوم القرآن، كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، نُشر بمجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 51 بتاريخ 2024/10/1م. تناول تعريف الاصطلاح لغة واصطلاحاً، ونشأة مصطلح الاحتباك، ومفهوم الاحتباك عند السيوطي، ونماذج تطبيقية، وخلص إلى مجموعة من النتائج منها أن السيوطي أول من أدخل الاحتباك في فن البديعيات، ومن أوائل من استخدم مصطلح الاحتباك إسماعيل بن محمد الغرناطي، وأحمد بن يوسف الرعيني في أواخر القرن الثامن الهجري.

- بحث بعنوان (من أساليب الحذف التركيبي في القرآن الكريم - الاحتباك) كتبه الأستاذان الدكتور بومدين مصطفى لامين، والدكتور بوعرارة محمد - جامعة أحمد يحيى الونشريسي، الجزائر. نُشر بمجلة المعيار المجلد 16 العدد 1 تاريخ النشر أبريل 2025م، تناول البحث مفهوم الاحتباك في اللغة والاصطلاح، وأنواع الاحتباك، وبلاغة الاحتباك، وخلص إلى أن الاحتباك عُرف بمصطلحات كثيرة، منها الحذف المقابلي، والاكتفاء بالمقابل، والتشبيب، والقياس المضمّر.

المبحث الأول**التأصيل النظري لفن الاحتباك****مفهوم الاحتباك لغة:**

الاحتباك من الحبك وأصله الشد والإحكام، قال الجوهري (ت: 393هـ) في الصحاح: (قال ابن الاعرابي: كل شيء أحكمته وأحسنّت عمله فقد احتبكتُهُ، والمحبوك: الشديدُ الخلق من الفرس وغيره). (الجوهري، 1987م، حبك) يُحدد الجوهري المعنى الأصلي للفعل "الاحتباك" نقلاً عن ابن الاعرابي وهذا التعريف يجعل الإتيان والضبط هو الجوهر الدلالي للكلمة. فـ "الاحتباك" هو فعل مصحوب بالجودة البالغة وحسن الصنعة. ويطبق الجوهري هذا الوصف مفهوم الإحكام على الخلق البنيوي للكائنات (كالفرس)، مما يعني أن "المحبوك" هو ما جُعِل متيناً ومشدوداً في أجزائه. وتكمن قوة هذا التعريف في أنه يسرد العلاقة السببية بين الفعل والوصف؛ فإذا أحكمت (احتبكت) شيئاً، كانت نتيجته أنه أصبح شديد الخلق ومتقن

الصنعة (محبوك). وقال الراغب الأصفهاني (ت: 502هـ): (وأصله من قولهم: بعير مَحْبُوك القرى، أي: محكمه، والاحتباك: شَدَّ الإزار) (الأصفهاني، 1412هـ، حبك) يُفسر الراغب الأصفهاني كلمة "الاحتباك" بتتبع أصلها اللغوي، حيث يرى أن أصل الكلمة مأخوذ من قولهم: (بعير مَحْبُوك القرى)، ومعنى ذلك: أي محكم البنية قوي الخلق، لأنَّ (القرى) هو ظهر البعير الذي يجب أن يكون قوياً ومشدوداً. ثمَّ يشرح الراغب أنَّ الفعل المشتق من هذا الأصل، وهو (الاحتباك)، قد أصبح يُستخدم للدلالة على المعنى الحسي المادي الذي يحمل ذات الدلالة على الشد والإحكام، فيقول والاحتباك: شَدَّ الإزار، وبذلك يكون الجامع بين الأصل والاستخدام المشتق هو مفهوم الشد والجمع بقوة وإحكام ومتانة.

تطور الدلالة الاصطلاحية:

وبعد استعراضنا المعنى اللغوي لجذر "حبك" وما يحمله من دلالة الإحكام، والشد، يصبح من السهل أن نتابع الدلالة الاصطلاحية للاحتباك وتطور هذه الدلالة، فالاحتباك نوع من أنواع الإيجاز، وهو فنُّ بلاغي يعتمد على حذف بعض الألفاظ من الكلام، مع المحافظة على المعنى كاملاً وواضحاً، إنه إيجاز ذكي وحذف مُتقن لطيف، ولم يكن هذا الفن وليد لحظة، بل هو ثمرة تطور طويل في دراسة القرآن الكريم، ولقد أشار إليه الأئمة الأوائل كسيبويه وإن لم يسموه بهذا المصطلح في مصنفاتهم وتحليلاتهم لآيات القرآن الكريم. وستتبع رحلة "الاحتباك" في الفكر البلاغي، مُقسمين ذلك إلى ثلاث محطات رئيسية: سنبدأ بالإشارات الأولية التي رصدها العلماء قبل تبلور المصطلح، ثم ننتقل إلى المرحلة الوسطى حيث بدأ المصطلح بالظهور والتبلور، ثم ننتقل إلى مرحلة اكتمال المصطلح حيث استقرت تعريفاته، وهذا التتبع التاريخي المنهجي سيوضح لنا كيف تبلور هذا الفن البلاغي الدقيق ليجمع بين الإيجاز في سبك العبارة وإحكام معناها.

ورد الاحتباك في شكل إشارات لدى إمام النحو سيبويه (ت180هـ): في حديثه عن قوله تعالى: "وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً" (البقرة: 171) إذ يقول: (وإنما شُبِّهوا بالمنعوق به. وإنما المعنى: متلکم ومثل الذين كفروا كمثل الناعق والمنعوق به الذي لا يسمع. ولكنه جاء على سعة الكلام والإيجاز لعلم المخاطب بالمعنى). (سيبويه، 1988م، 212/1) يقدم سيبويه، إمام النحاة، في تحليله السابق رؤية واضحة تتوافق تماماً مع دلالة الاحتباك، وإن لم يستخدم المصطلح نفسه. حيث يرى سيبويه أن التشبيه في الآية الكريمة ليس مباشراً كما يبدو للوهلة الأولى، فلو كان التشبيه بظاهره، لكان "الذين كفروا" مشبَّهين بـ "المنعوق به" (أي الأنعام)، وهذا لا يستقيم تماماً مع السياق القرآني الذي يذم عدم الفهم والإدراك، لذلك يوضح سيبويه أن المعنى الحقيقي الكامن وراء التركيب القرآني هو: متلکم ومثل الذين كفروا كمثل الناعق والمنعوق به الذي لا يسمع. وهذا التقدير الذي أورده سيبويه يكشف عن وجود حذف مزدوج في الآية، وهذا هو بيت القصيد في علاقته بالاحتباك: فحذف من الجانب الأول (المشبه): [متلکم] ومَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا...، وحذف من الجانب الثاني (المشبه به): "... كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ [والمنعوق به] بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً". ويُعلق سيبويه على هذا الحذف بقوله: (ولكنه جاء على سعة الكلام والإيجاز لعلم المخاطب بالمعنى). وهذا التعليق مهم للغاية: حيث تشير عبارة (سعة الكلام والإيجاز) إلى أن اللغة العربية تتميز بمرونة وجمال في التعبير، تسمح بالاختصار الشديد دون الإخلال بالمعنى، وهذا ما يهدف إليه الاحتباك. كما تؤكد عبارة (لعلم المخاطب بالمعنى) أن هذا الحذف قائم على ثقة المتكلم (وهنا القرآن الكريم) بذكاء المتلقي وقدرته على استنتاج المحذوف من السياق والمعنى، وهذا يعكس جانباً من "إحكام" الصياغة البلاغية التي تتيح للمتلقي استكمال الصورة الذهنية. وما وصفه سيبويه هنا هو تجسيد دقيق لفن الاحتباك، لتوفر الحذف المتقابل، والإيجاز مع وضوح المعنى، والاعتماد على فهم المتلقي. وعلى الرغم من أن سيبويه لم يستخدم مصطلح (الاحتباك) لأن المصطلح لم يكن قد استقر بعد بهذا الشكل، إلا أن تحليله للآية الكريمة ووصفه لعملية الحذف المتقابل والإيجاز فيها، هو في أصله وصف دقيق ومنهجي لفن الاحتباك كما عُرف لاحقاً في البلاغة العربية. وقول سيبويه هذا يدل على أن

اللغويين والبلاغيين الأوائل كانوا على وعي تام بهذه الظاهرة اللغوية في القرآن الكريم.

ثم جاء بدر الدين الزركشي (ت794هـ) وسماه الحذف المُقابلي، وعرفه بقوله: (الْحَذْفُ الْمُقَابِلِيُّ: هُوَ أَنْ يَجْتَمَعَ فِي الْكَلَامِ مَتَقَابِلَانِ، فَيُحْذَفُ مِنْ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مُقَابِلَةٌ لِدَلَالَةِ الْآخَرِ عَلَيْهِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: "فَاعْتَرَلُوا النَّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ" (البقرة:222) فَتَقْدِيرُهُ: "وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ [وَيَتَطَهَّرْنَ] فَإِذَا تَطَهَّرْنَ [وَأْتُوهُنَّ] وَهُوَ قَوْلٌ مُرَكَّبٌ مِنْ أَرْبَعَةِ أَجْزَاءٍ نَسَبُهُ الْأَوَّلُ إِلَى الثَّلَاثِ كَنَسَبَةِ الثَّانِي إِلَى الرَّابِعِ وَيُحْذَفُ مِنْ أَحَدِهِمَا لِدَلَالَةِ الْآخَرِ عَلَيْهِ). (الزركشي، 1957م، 129/3) ويُعدّ الإمام بدر الدين الزركشي (ت 794هـ) معلماً بارزاً في تعقيد المصطلح البلاغي، لا سيما بتبنيه لمصطلح (الحذف المقابلي)، الذي يمثل نقطة مهمة في مسيرة تطور فن الاحتباك. كما أن تعريفه الدقيقة وتطبيقه المحكم يُشير إلى تطور منهجي وفكري عما سبقه من إشارات. لقد أشار أئمة اللغة بعد سيبويه وقبل الزركشي إلى ظاهرة الحذف المتقابل في القرآن الكريم، ووصفوها بصفات دقيقة، لكنهم لم يضعوا لها مصطلحاً خاصاً. وهذا يدل على أن الظاهرة كانت ملحوظة ومقدّرة بلاغياً، لكنها لم تتبلور بعد في قالب اصطلاحى جامع. فجاء الإمام الزركشي ليملاً هذه الفجوة. فبتسميته (الحذف المقابلي)، فقد أسبغ على فن الاحتباك سمة اصطلاحية محددة. وهذه التسمية نفسها تُشير إلى أصل الاحتباك (فالحذف) يوضح وجود حذف لفظي. و(المقابلي) يُشير إلى طبيعة هذا الحذف، وهو كونه قائماً على التبادل والتقابل بين أجزاء الكلام. وهذا التحول من مجرد الوصف إلى التسمية الاصطلاحية، يُعدّ خطوة أساسية في ترسيخ هذا الفن البلاغي وتصنيفه، مما يسهّل دراسته وتناوله كفن مستقل بذاته.

ويتسم تعريف الزركشي بالدقة حيث يقول: (أن يجتمع في الكلام متقابلان)، فهذا هو الشرط الأساسي؛ وجود طرفين أو أجزاء متقابلة في المعنى أو التركيب. هذا التقابل ضروري لحدوث الاحتباك. (فيحذف مِنْ وَاحِدٍ مِنْهُمَا) يُؤكد على وجود الحذف في أحد الطرفين. (مقابلة لدلالة الآخر عليه) وهذا هو جوهر الفن، فالحذف مبني على أن الطرف المذكور يُعني عن الطرف المحذوف، ويكمل المعنى، بمعنى أن السياق وما ذكر يُشير بوضوح إلى ما حُذف في المقابل. وهذا يُظهر العلاقة الوثيقة بين المذكور والمحذوف. كما يُقدم الزركشي مثلاً تطبيقياً بالغ الدلالة على تعريفه، وهي قوله تعالى: "فَاعْتَرَلُوا النَّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ". وتحليله لهذه الآية يُظهر فهمه العميق لظاهرة الاحتباك، حيث يرى الزركشي أن تقدير الاحتباك هو "لَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ [وَيَتَطَهَّرْنَ] فَإِذَا تَطَهَّرْنَ [وَأْتُوهُنَّ] فَأْتُوهُنَّ". فقد ذُكر في الجزء الأول: "يَطْهُرْنَ" بمعنى انقطاع الدم، وحُذف [وَيَتَطَهَّرْنَ] بمعنى الاغتسال. وذكر في الجزء الثاني: "تَطَهَّرْنَ" بمعنى الاغتسال، وحُذف [طَهَّرْنَ] بمعنى انقطاع الدم. وقال الزركشي عن الاحتباك: (وهو قول مركب من أربعة أجزاء نسبة الأول إلى الثالث، كنسبة الثاني إلى الرابع)، وهذا التعبير يَشْف عن فهم رياضي منطقي للظاهرة. فالزركشي يرى أن هناك تقابلاً بين أربعة عناصر (اثنين مذكورين واثنين محذوفين). فما سمّاه الزركشي بـ (الحذف المقابلي) هو في جوهره الاحتباك نفسه. فتعريفه وتطبيقه يطابق تماماً الشروط التي استقرت عليها البلاغة العربية لتعريف الاحتباك: الإيجاز، والتقابل ودلالة المذكور على المحذوف. بحيث يفهم المتلقي ما حُذف من خلال ما ذُكر في الجانب المقابل. لهذا يُعدّ الزركشي بتعريفه لـ (الحذف المقابلي) خطوةً مركزية في ترسيخ الاحتباك كفن بلاغي مستقل. ولقد انتقل بفن الاحتباك من مجرد الإشارة العابرة التي كانت لدى سيبويه وغيره، إلى التصنيف والتأصيل المصطلحي الدقيق.

ومن أوائل العلماء الذين ورد مصطلح (الاحتباك) في مصنفاتهم إسماعيل بن محمد بن هانئ اللخمي الغرناطي (ت771هـ) وذلك في شرحه لألفية بن مالك، وقد عرفه بقوله: (أن تحذف من الأول ما أثبت نظيره في الثاني، وتحذف من الثاني ما أثبت نظيره في الأول) (ابن هانئ، 1994م، ص:10) ثم ذكر تقديراً للاحتباك في قوله تعالى: "إِنَّ اللَّهَ [يُصَلِّي]

و[إِنَّ] مَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ" فحذف [يُصَلِّي] من الجزء الأول لدلالة "يُصَلُّونَ" و[إِنَّ] من الجزء الثاني لدلالة "إِنَّ" الأولى عليه، وهذا من أفصح ما جاء عن العرب، وأجمعه وأوجزه، ويُسمَّى في ألقاب البديع الاحتباك). (ابن هانئ، 1994م، ص: 10-11)

كما ورد مصطلح الاحتباك في شرح أحمد بن يوسف الرعيني الأندلسي (ت779هـ). لبديعية (العميان) المسماة (الخُلَّة السَّيِّرا في مدح خَيْرِ الوَرَى) التي نظمها شمس الدين أبو عبد الله جابر محمد بن جابر الأندلسي، المشهور بابن جابر الأندلسي (ت780هـ)، فقد ورد مصطلح (الاحتباك) في (باب الجمع - وهو أن تجمع بين شيئين في أمر واحد)، يقول الناظم:

قَدْ أَحْرَزَ البَاسَ والإِحْسَانَ في نَسَقِ

والعِلْمَ والحِلْمَ قَبْلَ الدَرِكِ لِلطَّلِبِ

قال الرعيني في الشرح: كالجمع بين البأس والإحسان، وبين العلم والحلم، ثم استطرده وقال: (وفيه أيضاً لقب غريب من ألقاب البديع يُقال له (الاحتباك)، وهو عزيز عندهم، وهو أن تحذف من الأول ما أثبت نظيره في الثاني، وتحذف من الثاني ما أثبت نظيره في الأول). (الرعيني، 1985م، ص: 115).

وورد ذكر مصطلح الاحتباك واسم ابن يوسف في منظومة السيوطي (عقود الجمان في علم المعاني والبيان) إذ يقول (السيوطي، 2012م، ص: 107):

قُلْتُ وَمِنْهُ الإِحتْبَاكُ يُحْتَصِرُ مِنْ شَقِيّ الجُمْلَةِ ضِدُّ مَا ذُكِرَ

وَهُوَ لَطِيفٌ رَاقٍ لِلْمُقْتَبِسِ بَيْنَهُ ابْنُ يُوسُفَ الأَنْدَلُسِيِّ

ثم علق السيوطي في كتابه شرح عقود الجمان، بقوله: (هذه الأبيات وما بعدها إلى القسم الثاني كلها من زياداتي، فمن أنواع البديع الاحتباك، وهو نوع لطيف لم ينتبه إليه أحد من أهل هذا الفن، ولا ذكره أصحاب البديعيات، ولم نقف على أحد تعرّض لذكره إلا رفيق الأعمى في شرح بديعته). (السيوطي، 2012م، ص: 302) ويقصد السيوطي برفيق الأعمى أبي جعفر أحمد بن يوسف الرعيني الغرناطيّ (ت779هـ)، صديق ابن جابر الأندلسي (ت780هـ)، الذي صحبه في الرحلة لطلب العلم، ولما طال تلازمهما سُميا بالأعمى والبصير، وقد ألف ابن جابر بديعته (الخُلَّة السَّيِّرا في مدح خير الورى) وله عليها شرح موجز، أما صاحبه أبو جعفر ابن يوسف الرعيني فله عليها شرح طويل، سماه (طرز الخُلَّة وشفاء الغلّة) وأورد الاحتباك فيه كما ذكر السيوطي استطراداً. ومع أن المعلومات التي وصلت إلينا تؤكد أن أول استخدام مصطلح الاحتباك هما إسماعيل بن محمد بن هانئ اللخمي الغرناطي (ت771هـ) في شرحه لألفية بن مالك، وأبو جعفر أحمد بن يوسف الرعيني الغرناطيّ (ت779هـ)، صديق ابن جابر الأندلسي (ت780هـ)، لكن هذه المعلومات لا تؤكد أنهما أول من ابتدعا هذا المصطلح، لأن عبارتهما لا توحي بذلك، بل توحي بأن هذا المصطلح وجد قبل ذلك، وربما يرجع ظهور المصطلح إلى منتصف القرن الثامن الهجري.

وكذلك ورد مصطلح (الاحتباك) على لسان العلامة علي بن محمد الجرجاني المشهور بالشريف الجرجاني (ت816هـ) في كتابه (التعريفات) وعرفه بقوله: (الاحتباك هو أن يجتمع في الكلام متقابلان، ويُحذف من كل واحد منهما مقابله لدلالة الآخر عليه). (الشريف الجرجاني، د.ت، ص: 13) يعد تعريف الشريف الجرجاني لـ الاحتباك محطة مهمة في تطور المصطلح البلاغي، رغم أن المصطلح والتطبيق كانا موجودين قبله. ولكن لأنه قدم له صياغة شاملة ومُحكمة أسهمت في

ترسيخه وتوضيح آليته الجمالية. فقوله: "أن يجتمع في الكلام متقابلان" هذه النقطة أساسية في الاحتباك، فالاحتباك لا يحدث إلا بوجود تركيبين أو جملتين متقابلتين في المعنى أو الصورة. وهذا التقابل يخلق نوعاً من التوازن بينهما، مما يمهّد لعملية الحذف. وقوله: "ويُحذف من كل واحد منهما مقابله": هنا تكمن بلاغة الاحتباك. فبدلاً من ذكر كل جزء بشكل صريح في كلا الجملتين، يتم حذف ما يقابل المذكور في الجملة المقابلة. وقوله: "لدلالة الآخر عليه": هذا الشرط هو الذي يميز الاحتباك عن الحذف العام. فالمحذوف لا يزال مفهوماً تماماً من خلال سياق الجملة المقابلة وما ذكر فيها. أي أن المتلقي لا يقع في لبس؛ لأن الجزء المذكور في أحد الشقين يدل على نظيره المحذوف في الشق الآخر.

واحتقى العلامة برهان الدين البقاعي (ت885هـ) احتقاً عظيماً بفن الاحتباك، وشغف به كثيراً وتعلق به عميقاً، وصنّف فيه كتاباً، ووصف الاحتباك بأنه كنز فني عظيم الشأن، حين قال: (وهو فن عزيز نفيس، وقد جمعت فيه كتاباً حسناً ذكرت فيه تعريفه ومأخذه من اللغة، وما حضرني من أمثله من الكتاب العزيز وكلام الفقهاء، وسميته (الإدراك لفن الاحتباك). (البقاعي، 1984م، 1/225) ثم عرّفه بقوله: (الاحتباك، وهو أن يؤتى بكلامين يحذف من كل منهما شيء إيجازاً، يدل ما ذكر من كل على ما حذف من الآخر، وبعبارة أخرى: هو أن يحذف من كل جملة شيء إيجازاً ويذكر في الجملة الأخرى ما يدل عليه). (البقاعي، 1984م، 4/263) يقدم برهان الدين البقاعي تعريفاً واضحاً وموجزاً لفن (الاحتباك) إذ يُسلط الضوء على أصله وأبعاده الجمالية والبلاغية، ويمكننا تفكيك تعريف البقاعي إلى عناصر أساسية توضح مفهوم الاحتباك بدقة. (أن يؤتى بكلامين): يؤكد البقاعي أن الاحتباك لا يتم إلا بين تركيبين أو جملتين. وهذا يعني أنه لا يظهر في كلمة مفردة أو جملة واحدة منعزلة، بل يتطلب وجود سياق مزدوج أو متقابل. هذان (الكلامان) غالباً ما يكونان متوازيين في التركيب أو متقابلين في المعنى. وقوله: (يحذف من كل منهما شيء إيجازاً): هذه العبارة هي لبّ عملية الاحتباك. ففي كلتا الجملتين، يتم حذف عنصر معين. هذا الحذف يهدف إلى الإيجاز، أي اختصار الكلام وتكثيف المعنى. وهذا يدل على رغبة المتكلم في التعبير عن الفكرة بأقل قدر ممكن من الألفاظ دون الإخلال بالمعنى. وقوله: (يدل ما ذكر من كل على ما حذف من الآخر). هذا هو الشرط الأهم الذي يميز الاحتباك عن الحذف العادي. فالمحذوف في إحدى الجملتين يُصبح مفهوماً؛ لأن الجزء المذكور في الجملة المقابلة يدل عليه دلالة واضحة. وهذه العلاقة التبادلية في الدلالة هي التي تحقق المعنى بدقة وتزيل الإبهام، وتُبرز براعة المتكلم في التصرف باللفظ والمعنى. وتكرار المعنى بصيغة أخرى يُظهر حرص البقاعي على توضيح الفكرة وتأكيدتها، وهذه الصياغة الثانية تُبسّط المفهوم وتجعله أكثر استيعاباً، مؤكدة على العلاقة التكاملية بين المحذوف والمذكور.

وذكر الإمام السيوطي (ت911هـ) في كتابه (شرح عقود الجمان) موقفاً طريفاً جمعه ببرهان الدين البقاعي، إذ يقول: (وقلت في نفسي هذا نوع لكن لا أعرف من أنواع البديع ما يدخل فيه، ثم اجتمعت بصاحبنا العلامة برهان الدين البقاعي، فذكر لي أن بعض شيوخه أفاده أن من أنواع البديع ما يُسمى الاحتباك، وهو أن تُذكر جملتان في كلّ متقابلان، ويحذف من كل ضد ما ذكر في الأخرى. وقال لي: لم أقف على من تعرّض لهذا ولم أراه في كتاب، وقد ألفت فيه كراسة سميتها (الإدراك)، فلما طالعتُ شرح بديعية ابن جابر لرفيقه أحمد بن يوسف الأندلسي، رأيته ذكره في أثناء كلامه استطراداً، فقال من أنواع الاحتباك، وهو نوع عزيز، وهو أن يُحذف من الأول ما ثبت نظيره في الثاني، ومن الثاني ما ثبت نظيره في الأول). (السيوطي، 2012م، ص:303) اعترف البقاعي في هذا النص أن بعض مشايخه نبهه إلى فن الاحتباك، وأنه لم يخترع هذا الفن، لكنه ربما يكون شيخه الذي لم يفصح باسمه هو أول من ابتدع مصطلح الاحتباك.

وأشار السيوطي (ت911هـ) إلى سبب تسمية هذا الفن بالاحتباك لغوياً، فقال: (وَمَأْخَذُ هَذِهِ التَّسْمِيَةِ مِنَ الْحَبْكِ الَّذِي مَعْنَاهُ الشَّدُّ وَالْإِحْكَامُ وَتَحْسِينُ أَثَرِ الصَّنْعَةِ فِي النَّوْبِ، فَحَبْكُ النَّوْبِ سَدُّ مَا بَيْنَ حُيُوطِهِ مِنَ الْفُرْجِ وَشَدُّهُ وَإِحْكَامُهُ بِحَيْثُ يَمْنَعُ عَنْهُ

الْخَلَلُ مَعَ الْحُسْنِ وَالرُّؤُوفِ، وَبَيَانُ أَخْذِهِ مِنْهُ مِنْ أَنَّ مَوَاضِعَ الْحَذْفِ مِنَ الْكَلَامِ شُبِّهَتْ بِالْفَرْجِ بَيْنَ الْخُيُوطِ فَلَمَّا أَدْرَكَهَا النَّاقِذُ
الْبَصِيرُ بِصَوْغِهِ الْمَاهِرِ فِي نَظْمِهِ وَحَوَكِهِ فَوَضَعَ الْمُحذُوفَ مَوَاضِعَهُ كَانَ حَابِكًا لَهُ مَانِعًا مِنْ خَلَلِ يَطْرُقُهُ فَسَدَّ بِتَقْدِيرِهِ مَا
يَحْصُلُ بِهِ الْخَلَلُ مَعَ مَا أَكْسَبَهُ مِنَ الْحُسْنِ وَالرُّؤُوفِ). (السيوطي، 1974م، 205/3)

وقال السيوطي (ت911هـ) في تعريف الدلالة الاصطلاحية لهذا الفن: (الِإِحْتِبَاكُ وَهُوَ مِنْ أَلْفِ الْأَنْوَاعِ وَأَبْدَعِهَا وَقَلَّ مَنْ
تَنَبَّهَ لَهُ أَوْ نَبَّهَ عَلَيْهِ مِنْ أَهْلِ فَنِّ الْبَلَاغَةِ وَلَمْ أَرَهُ فِي شَرْحِ بَدِيعِيَّةِ الْأَعْمَى لِرَفِيقِهِ الْأَنْدَلُسِيِّ وَذَكَرَهُ الرَّزْكَانِيُّ فِي الْبُرْهَانِ وَلَمْ
يُسَمِّهِ هَذَا الْأِسْمَ بَلْ سَمَّاهُ الْحَذْفَ الْمُقَابِلِيَّ وَأَفْرَدَهُ بِالْتَّصْنِيفِ مِنْ أَهْلِ الْعَصْرِ الْعَلَمَاءُ بُرْهَانَ الدِّينِ الْبِقَاعِيِّ قَالَ الْأَنْدَلُسِيُّ فِي
شَرْحِ الْبَدِيعِيَّةِ مِنْ أَنْوَاعِ الْبَدِيعِ الْإِحْتِبَاكُ وَهُوَ نَوْعٌ عَزِيزٌ وَهُوَ أَنْ يُحذَفَ مِنَ الْأَوَّلِ مَا أُثْبِتَ نَظِيرُهُ فِي الثَّانِي وَمِنَ الثَّانِي مَا
أُثْبِتَ نَظِيرُهُ فِي الْأَوَّلِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعُقُ {الْآيَةَ التَّقْدِيرُ وَمَثَلُ الْأَنْبِيَاءِ وَالْكَفَّارِ كَمَثَلِ الَّذِي
يَنْعُقُ وَالَّذِي يَنْعُقُ بِهِ فَحَذَفَ مِنَ الْأَوَّلِ الْأَنْبِيَاءَ لِذِلَّةِ "الَّذِي يَنْعُقُ" عَلَيْهِ وَمِنَ الثَّانِي الَّذِي يَنْعُقُ بِهِ لِذِلَّةِ "الَّذِينَ
كَفَرُوا" عَلَيْهِ). (السيوطي، 1974م، 204/3) يوضح السيوطي في هذا النص أن علماء البلاغة السابقين لم ينتبهوا إلى
صياغة مصطلح للاحتباك، وأن أصحاب البديعيات لم يدرجوه في بديعياتهم مع أنها مخصصة لأنواع البديع، فالإمام
السيوطي أول من ذكر مصطلح الاحتباك في البديعيات وذلك بنسبته لابن يوسف الأندلسي كما مر بنا في سابقاً.

علاقة الاحتباك بالبنوية الحديثة:

ظهرت فكرة البنية السطحية والعميقة لأول مرة في كتاب نعوم تشومسكي (البنى النحوية)، عام 1957م، وكان الهدف
توضيح أن اللغات البشرية يمكن أن تنتج عدداً لا نهائياً من الجمل من عدد محدود من القواعد. وتمثل البنية العميقة
المستوى المجرد الذي يحمل المعنى الأساسي للجملة. والذي يمكن اعتباره بمثابة الفكرة أو المعنى قبل أن يتم التعبير عنه
لغويًا. أما (البنية السطحية) فهي الشكل الظاهر للجملة كما يتم نطقها وكتابتها. ولقد قدم تشومسكي هذه الفكرة لشرح كيف
أن المتحدثين الأصليين للغة يمكنهم فهم الجمل الجديدة وغير المألوفة بسهولة، وكيف أن الجمل ذات المعنى المتشابه
يمكن أن يكون لها أشكال مختلفة، هذه الفكرة كانت نقطة انطلاق للغويات التوليدية التحويلية التي أحدثت ثورة في دراسة
اللغة. وفي حالة الاحتباك تكون البنية السطحية هي الجملة المحذوف منها بعض عناصرها، والبنية العميقة هي البنية
الأساسية الكاملة التي تحمل المعنى الأصلي. ويمثل الاحتباك عملية تحويلية إذ ينتقل المتحدث أو الكاتب من البنية
العميقة إلى البنية السطحية المختصرة، وهذا الانتقال يخضع لقواعد بلاغية ومعرفية، مثل قرينة الحال والسياق، التي
تضمن للمتلقي استعادة البنية العميقة بشكل صحيح. ويحقق الاحتباك إيجازاً في البنية السطحية، مما يقلل من تكرار
الكلمات، وكذلك يضيف جمالية إلى الآيات القرآنية، فالحذف يثير الذهن ويدعو المتلقي إلى المشاركة في بناء المعنى،
فإذا نظرنا إلى البنية السطحية في قوله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً" والبنية العميقة المتمثلة
في "يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه [صلاة] وسلموا [عليه] تسليماً"، نجد أن وظيفة الاحتباك هي الانتقال من البنية العميقة
إلى البنية السطحية، مع الاعتماد على قرينة "تسليماً" لإعادة "صلاة"، وعلى قرينة "صلوا عليه" لإعادة "عليه"، وهذا المنهج
يُظهر الاحتباك نظاماً لغويًا محكمًا ومتكاملاً.

علاقة الاحتباك بنظرية الاقتصاد اللغوي:

الاقتصاد اللغوي مبدأ بلاغي ولغوي يعني استخدام أقل قدر ممكن من الكلمات لإيصال أكبر قدر من المعنى، وهذه الفكرة
ليست حديثة، بل لها جذور عميقة في البلاغة العربية القديمة والحديثة، حيث إننا نجد هذا المفهوم متأصلاً في فنون مثل
الإيجاز، الذي يُعتبر من أعظم أسرار البلاغة العربية. فالبلاغة عندهم هي "مطابقة الكلام لمقتضى الحال"، والقدرة على
الإيجاز والاختصار دون إخلال بالمعنى كانت تُعتبر قمة البلاغة والفصاحة. وقد تبني علماء الأسلوبية الحديثة هذا

المفهوم، ورأوا أن الكاتب المبدع هو الذي يختار الكلمات بعناية ليحقق أقصى تأثير بأقل جهد لغوي، وهذا المبدأ يرتبط ارتباطاً وثيقاً بوظيفة التعبير؛ فكل كلمة تُحذف هي اختيار أسلوبية مقصود، يُضفي على النص قوةً وجمالاً. وإذا نظرنا إلى تحليل الاحتباك في آية سورة الأحزاب من خلال تطبيق مبدأ الاقتصاد اللغوي نجد أن الاحتباك يحقق اقتصاداً لغوياً من خلال حذف الألفاظ التي يمكن الاستغناء عنها، فقد تم حذف (صلاة) و(عليه)، مما جعل الجملة أكثر إيجازاً وتركيزاً. وعلى الرغم من الحذف، لم ينقص المعنى أو يختل. فالمتلقي يستطيع استعادة الكلمات المحذوفة بفضل السياق، مما يثبت أن الحذف كان مقصوداً لتحقيق الاقتصاد اللغوي. وهذا الاقتصاد اللغوي يُنتج تأثيراً بلاغياً عميقاً. فالحذف يجعل المتلقي يتفاعل مع النص، ويشارك في بناء المعنى، مما يزيد من تأثير الرسالة وقوتها. فالاحتباك تطبيق عملي لمبدأ الاقتصاد اللغوي، حيث يُظهر النص القرآني قدرته الفائقة على تحقيق أقصى بلاغة بأقل عدد ممكن من الكلمات، وهذا يجعله نموذجاً فريداً في دراسة الأسلوب.

المبحث الثاني

أنواع الاحتباك في القرآن الكريم

خصصت هذا المبحث الثاني من هذه الدراسة للجانب التطبيقي على أنواع الاحتباك المختلفة، وذلك من خلال تحليل آية قرآنية واحدة لكل نوع من أنواع الاحتباك، ليركز التحليل على نوع الاحتباك، وخصائصه الفنية، والألفاظ المحذوفة والمذكورة، ثم الأبعاد البنوية والأسلوبية والدلالية. ونعني بالأبعاد البنوية القواعد التي تحكم ترتيب الكلمات والجملة، ونعني بالأبعاد الأسلوبية طريقة اختيار الكلمات، أما الدلالة فنعني المعنى الذي ينتج عن الترتيب والاختيار.

أنواع الاحتباك:

يمثل فن الاحتباك بأنواعه المختلفة أبرز أساليب الإيجاز الدلالي، ويتسم بقدرته على استيعاب فكرتين مترابطتين في سياق لغوي واحد، ويرجع التنوع في فن الاحتباك (إلى تقدير المحذوف). (أسعد، 2006م، 52) كما يختلف التصنيف (حسب نوع التقابل الذي يقع بين طرفي المقابلة) (حماش، 2022م، 13) وتعتمد فكرة الاحتباك على أساس حذف ما يُفهم من سياق الكلام، مما يُضفي على النص تماسكاً بناهياً وعمقاً دلاليًا.

أولاً: الاحتباك الضدي.

الاحتباك الضدي (هو الذي يقع بين ألفاظ العلاقة بينهما قائمة على التضاد) (أسعد، 2006م، 53)

حيث يتم الحذف المزدوج بين لفظين متضادين مع ذكر قرأتين تدل على المحذوف، وتتجلى هذه الآلية ببراعة في قوله تعالى: "هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا" (يونس: 67). فالجزء الأول من الآية: "هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ"، والجزء الثاني: "وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا". فقد حُذف من الجزء الأول لفظ (مُظْلَمًا) لِذِكْرِ ضده في الجزء الثاني (مُبْصِرًا)، وحُذف من الجزء الثاني (لتعملوا فيه) لِذِكْرِ ضده في الجزء الأول (لتسكنوا فيه). والتقدير الكامل للاحتباك الضدي في هذه الآية: "هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ [مُظْلَمًا] لِتَسْكُنُوا فِيهِ"، "وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا" [لتعملوا فيه]. فالآية الكريمة أوجزت ببراعة في الألفاظ، فاكتفت بذكر صفة النهار (مبصرًا) ولم تذكر صفة الليل (مظلمًا)، كما اكتفت بذكر وظيفة الليل الأساسية (لتسكنوا فيه)، وحذفت الوظيفة المقابلة لها للنهار (لتعملوا فيه)، مع ترك تقدير المحذوف للاستنتاج، وهنا تظهر قدرات العلماء وملكاتهم على استنتاج إحياء اللفظ، وهذا الحذف الاحتبائي يضفي على الآية القرآنية مزيداً من الظلال والمعاني. ولقد رأيت في هذا الجانب التطبيقي تقديم الأبعاد البنوية على الأسلوبية، وذلك لأن البنية اللغوية تدل على وجود الاحتباك في الآية، ثم ننقل بعد ذلك إلى تحليل تأثيرات الاحتباك الأسلوبية والدلالية.

الأبعاد البنيوية والدلالية:

يعرض هذا التحليل الأبعاد البنيوية للاحتباك الضدي في قوله تعالى: "هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا"، مبيِّنًا أن الآية بُنيت على نسق يربط بين أجزائها، ويعمل الاحتباك كعنصر بنوي محكم يربط بين المذكور والمحذوف، وهذا الحذف المزدوج يُنشئ وحدة دلالية متكاملة، ويخدم بنية حجاجية كبرى تُثبت قدرة الخالق وعظمته، وترسخ نظاماً كونياً وتشريعياً يقوم على التوازن والازدواجية المتقابلة بين السكون والنشاط.

1- الإطار البنيوي للاحتباك: تعتمد بنية الآية على محورين متقابلين (الليل والنهار)، ويعتمد كل منهما على الآخر في تمام المعنى والدلالة، ويُشكّل هذا التوازي المتبادل بين المذكور والمحذوف البنية الكاملة للاحتباك الضدي. ويؤكد البقاعي وجود الاحتباك بقوله: (فالآية من الاحتباك) (البقاعي، 1984م، 158/9). كما يرى البقاعي أن الحذف البلاغي يعزز من تماسك الآية، فالمحذوفان "مُظْلَمًا" و"لَتَنْتَشِرُوا فِيهِ" لا يزالان موجودان في البنية النصية العميقة، ويُستدلّ عليهما بالأجزاء المذكورة، وهذا الترابط تصور الآية بنية متكاملة، فالاحتباك عنصر بنوي أساسي يربط بين طرفي هذا التوازي. فالحذف من أحد الطرفين وذكر ما يقابله في الطرف الآخر يضمن الترابط العضوي للآية. وهذا الترابط يجعل الآية وحدة دلالية متكاملة. وعندما تنتقل للسياق العام لسورة يونس، نجد أن الآية جزءاً من بنية حجاجية أكبر تهدف إلى إقامة الدليل على قدرة الله وعظمته، وتعد ظاهرة الاحتباك آية من آيات الله في اللغة، تدل على إحكام الصنعة في صياغة الكلام. ويُفسر الألوسي هذه الآلية بشكل دقيق: (التقدير هو الذي جعل لكم الليل مظلمًا لتسكنوا فيه والنهار مبصرًا لتتحركوا فيه لمصالحكم، فحذف من كل ما ذكر في الآخر... وفيه على هذا صنعة الاحتباك) (الألوسي، 1997م، 146/6)، وهذا الإيجاز المتوازن والمقابلة التامة يدلّ على التفرد بالقدرة والنعمة الشاملة. ويشير أبو السعود إلى أن الحذف المتقابل جاء (اكتفاءً بالمذكور عن المتروك). (العمادي، د.ت، 162/4). ويقول أبو حيان الأندلسي: (جَعَلَ اللَّيْلَ مُظْلَمًا لِتَسْكُنُوا فِيهِ، وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا لِتَتَحَرَّكُوا فِيهِ فِي مَكَاسِبِكُمْ وَمَا تَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ بِالْحَرَكَةِ) (أبو حيان، 2000م، 85/6) وهذا الأسلوب يقوم على نكر جزء من الكلام مع حذف قرينه المقابل، ففي شطر الليل ذكرت الآية علة الخلق وهي قوله "لَتَسْكُنُوا فِيهِ"، ولكنها حذفت وصف الليل وهو (مُظْلَمًا)، وفي شطر النهار ذكرت الآية وصف النهار وهو "مُبْصِرًا"، ولكنها حذفت علة الخلق، وهي (لَتَتَحَرَّكُوا فِيهِ)، وهذا الإيجاز البليغ يؤكد على عظمة قدرة الله ونعمته التي لا يدركها إلا من لديه سماع مُعْتَبَرٍ يقود إلى التفكير والاعتبار. ويؤكد القاسمي أن قمة الإيجاز تكمن في (حذف من كل من الجانبين ما ذكر في الآخر) (القاسمي، 1418هـ، 47/6) وهذا الحذف المتقابل يضمن الإيجاز دون إخلال، إذ يكون المذكور دليلاً كافياً على المتروك، مما يجعل القرآن معجزاً في الإحكام اللفظي.

2- الوظائف الدلالية في الحجة القرآنية والتناسب الوجودي: يتجاوز الاحتباك الجانب الأسلوبي ليقدم أغراضاً دلالية عميقة، تؤكد على الوحدة الشاملة للنص القرآني، ويُعدّ الاحتباك في هذه الآية مثالاً بارزاً على النظم القرآني المحكم، الذي يخدم أغراضاً استدلالية وبنائية. وقد أشار ابن عاشور إلى هذا البعد، حيث بين أن الآية جاءت لتكون حجة عقلية ضد من يظنون أن الله اتخذ ولدًا، فهي (جَاءَتْ مَجِيءَ الْإِسْتِدْلَالِ عَلَى فَسَادِ ظَنِّهِمْ وَخَرَصِهِمْ بِشَوَاهِدِ خَلْقِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ) (ابن عاشور، 1984م، 226/11). وهذا الربط بين الاحتباك (كظاهرة لغوية) والاستدلال (كعملية منطقية) هو جوهر المنهج البنيوي الذي يرى أن بنية النص هي التي تحمل الحجة وتقدمها. فالاحتباك يصف بنية جزئية في الآية، أما القصر فيصف بنية أعم وأشمل، وهي بنية الحجة القرآنية. ويؤكد ابن عاشور على هذه البنية المتقابلة بقوله: (وَلَمَّا قَابَلَ السُّكُونَ فِي جَانِبِ اللَّيْلِ بِالْإِبْصَارِ فِي جَانِبِ النَّهَارِ... دَلَّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّ عِلَّةَ السُّكُونَ عَدَمَ الْإِبْصَارِ). (ابن عاشور، 1984م، 227/11) هذا التلازم في الحذف والذكر يُثبت أن الاحتباك جزء أساسي من بنية الحجة القرآنية، وتعتمد الآية على شكل

بنيوي يرسخ فكرة الأزواجية المتقابلة، حيث يُكمل كل شق من الزمن وظيفته الشق الآخر، وهذا التناغم هو جوهر الاستدلال على القدرة الإلهية. فالآية لا تكتفي بذكر الليل والنهار كظاهرتين، بل تدمج في بنيتها الهدف والغاية، فالليل بنية للسكون لذلك (مُظْلَمٌ، لِأَجْلِ يَسْكُنُ الْعِبَادُ فِيهِ عَنِ الْحَرَكَةِ وَالْتَعَبِ، وَيُرِيحُونَ أَنْفُسَهُمْ عَنِ الْكَدِّ وَالْكَسْبِ) (الشوكاني، 1414هـ، 523/2) مما يؤسس لمفهوم الراحة كضرورة حياتية، والنهار كبنية نشاط وإبصار (مُبْصِرٌ، لِأَجْلِ يَسْعَوْنَ فِيهِ بِمَا يَعُودُ عَلَى نَفْعِهِمْ وَتَوْفِيرِ مَعَايِشِهِمْ) (الشوكاني، 1414هـ، 523/2) هذه البنية المزدوجة تُظهر نظاماً تشريعياً كونياً يضمن استمرارية الحياة البشرية، حيث لا يمكن تحقيق وظيفة النهار دون سكون الليل. إنها هندسة إلهية للوجود البشري قائمة على التوازن.

3- الأبعاد الروحية والتكامل البنيوي: يُقدم الألوسي قراءة رمزية للآية تحوّلها من ظاهرة كونية إلى رمز لحالة الإنسان الروحية، وهي السمة الأبرز في هذا النص. حيث يقول: (وَالنَّهَارُ مُبْصِرٌ أَي أَلْبَسَهُ سُرْبَالِ أَنْوَارِ الْقُدْرَةِ لِتَقْضُوا فِيهَا حَاجَاتِكُمْ الضَّرُورِيَّةَ، وَقِيلَ: الْإِشَارَةُ بِذَلِكَ إِلَى لَيْلِ الْجِسْمِ وَنَهَارِ الرُّوحِ أَي جَعَلَ لَكُمْ لَيْلَ الْجِسْمِ لِتَسْكُنُوا فِيهِ، وَنَهَارِ الرُّوحِ لِتَبْصُرُوا بِهِ حَقَائِقَ الْأَشْيَاءِ وَمَا تَهْتَدُونَ بِهِ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ تَعَالَى فَيَقِيمُونَ بِوَاطِنِهِ وَحُدُودِهِ وَيَطْلَعُونَ بِهِ عَلَى صِفَاتِهِ وَأَسْمَائِهِ سُبْحَانَهُ). (الألوسي، 1997م، 168/6) وهذا التحويل يربط بين حركة الكون وحركة القلب، وليل الجسم هو وقت الخلوة والسكون عن مشاغل الدنيا، لراحة الجسد وتهيئته للتأمل، ونهار الروح هو وقت الاستنارة الروحية والكشف المعرفي، حيث ترى الروح حقائق الأشياء التي لا تُرى بالعين المجردة. ومناجاة المشتاقين إشارة إلى سكون العشاق والمشتاقين في الليل، وميلهم إلى مناجاة محبوبهم وانجذابهم إلى مشاهدة مطلوبهم وتلذذهم بما يرد عليهم من الواردات الإلهية واستغراقهم بأنواع التجليات الربانية. وهذا البعد الصوفي يربط الليل بالعبادة الخاصة، حيث يرى أن وقت السكون هو وقت اللقاء الروحي بين العبد وربّه، وهي أعلى درجات القرب. ويركز السعدي على الأبعاد الحياتية والإيمانية للآية، ويبيّن تحليله على ربط النعم الكونية بالعبادة والتعرف على صفات الخالق. لذا يعتمد تفسير الآية على بنية تُظهر كمال التدبير الإلهي من خلال خلق التضاد والتقابل الوظيفي، ويُحدد السعدي الغاية من الليل بأمرين، النوم والراحة، مع الإشارة إلى السبب المادي (الظلمة). ويُبرز قيمة هذه النعمة بذكر نقيضها المحتمل: (فلو استمر الضياء، لما قروا، ولما سكنوا) (السعدي، 2000م، 368)، هذا التضاد يُظهر أن الظلمة في نفسها نعمة ضرورية لحياة الإنسان، ويربط الإبصار بوظيفة عملية مزدوجة (فيتصرفون في معاشهم ومصالح دينهم ودنياهم) (السعدي، 2000م، 368) هذه البنية تدمج بين الغرض الدنيوي والعبادي في حركة الإنسان اليومية.

الأبعاد الأسلوبية:

تكمّن جمالية الأسلوب في الاستعارة التصريحية والتكثيف اللغوي، ودقة اختيار الأفعال لتحقيق أعلى درجات التأثير والإقناع.

1- المجاز اللغوي وبلاغة التضخيم: تكمن البلاغة في وصف النهار بـ "مُبْصِرًا"، وهو مجاز عقلي؛ حيث أُسند الإبصار (فعل الإنسان) إلى النهار (الزمان/السبب) لوجود علاقة بينهما. ويوضح البقاعي هذه الظاهرة البلاغية بعبارته الدقيقة: (وأعار السبب وصف المسبب) فقال: "مبصرًا" (أي لتنتشروا فيه، حذف وصف الليل، ودُكرت علتة، عكس ما فعل بالنهار ليدل ما ثبت على ما حذف) (البقاعي، 1984م، 185/9) وهذا التوظيف الأسلوبية يهدف إلى المبالغة والتضخيم في دلالة نعمة النور. ويحلل ابن عاشور هذا المجاز على أنه (للمبالغة في حُصُولِ الْإِبْصَارِ فِيهِ حَتَّى جَعَلَ النَّهَارَ هُوَ الْمُبْصِرَ). (ابن عاشور، 1984م، 227/11) ويُوضح البقاعي أن هذا الوصف هو على سبيل المجاز أو التوسع في الكلام، مستشهدًا بمثلين من أساليب العرب: "لَيْلٌ نَائِمٌ" و "عَيْشَةٌ رَاضِيَةٌ"، ليخلص إلى أن إسناد الإبصار إلى النهار هو

إسناد الشيء إلى محله أو زمانه، فصار النهار مُبْصِرًا لتمكن الناس من الإبصار فيه) (البغوي، 1420هـ، 427/2) ويفسر الشوكاني المَجَاز بقوله: (وَالْمَعْنَى أَنَّهُ مُبْصِرٌ صَاحِبُهُ، كَقَوْلِهِمْ نَهَارُهُ صَائِمٌ) (الشوكاني، 1414هـ، 523/2) وهذا الأسلوب يمنح النهار خاصية الفاعلية، مما يزيد من قيمة النعمة ويجعل الإحساس بها أعمق.

2- غاية الأسلوب والاستدلال والتفخيم: فالغاية النهائية من الأسلوب البليغ هي توجيه المتلقي إلى السماع الاستدلالي (الاعتبار) وإقامة الحجة على الانفراد بالخلق والامتنان، ويؤكد ابن عاشور أن الآية تجمع بين الاستدلال والامتنان، حيث حَصَلَ (مَعَ الْإِسْتِدْلَالِ امْتِنَانٌ عَلَى النَّاسِ بِجَعْلِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ عَلَى هَذَا النِّظَامِ) (ابن عاشور، 1984م، 227/11)، ويُجمع المفسرون على أن السماع المذكور في ختام الآية "لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ" ليس السماع الحسي، بل السماع الاستدلالي الذي يفضي إلى التدبر والإيمان. يقول البغوي: ("إِنَّ فِي ذَلِكَ آيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ" ختمت الآية بالغاية من هذا التفسير، وهي أن هذه الظواهر الكونية (الليل للسكون، والنهار للإبصار) هي حجج ودلائل لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ، والمراد بالسماع عند البغوي: (سَمَعَ الْإِعْتِبَارِ أَنَّهُ مِمَّا لَا يَثْبُرُ عَلَيْهِ إِلَّا عَالَمٌ قَادِرٌ) (البغوي، 142هـ، 427/2) أي ليس سماع الأذن، بل سماع التدبر والتفكير والاستدلال. كما وضَّح أبو السعود: (سماع تدبر واعتبار فيعملون بمقتضاها). (العمادي، د.ت، 162/4) ومع أن الآيات (الليل والنهار) منصوبة لمصلحة الكل، إلا أن تخصيص المنتفعين بها يؤكد على أن الهدى لا يُمنح إلا لمن استخدم عقله في الإدراك، وهذا التخصيص هو بمثابة توجيه ولوم ضمني لمن يسمع الآيات المتلوة ويشاهد الكونية ثم لا ينتفع بها، مما يرفع من قيمة العقل والتدبر كشرط أساسي لتحقيق الإيمان، فالآية مبنية على أسلوب المقابلة الإيجازية (الاحتباك) التي تخدم غرض الإقناع بكمال القدرة، وتستخدم المجاز العقلي لتعظيم النعمة، وتنتهي بتخصيص الخطاب للقوم السامعين، الذين يُفعلون عقولهم (الفقه)، لتؤكد أن الإيمان نتيجة منطقية للتدبر. ولعل أبرز ما يميز تفسير السعدي هو فهمه لدلالة "لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ"، حيث يُحوّل السماع من مجرد حاسة إلى منهج فكري متكامل، ويُشدد السعدي على أن السماع المطلوب هو (سمع فهم، وقبول، واسترشاد) (السعدي، 2000م، 368) ويُقابل بـ (لا سمع تعنت وعناد) (السعدي، 2000م، 368) وهذا الأسلوب يضع شروطاً قلبية للسماع النافع، مُشيراً إلى أن السماع الحسي لا قيمة له ما لم يقترن بالنية الصادقة لقبول الحق والاهتداء به.

ثانياً: الاحتباك المُتَشَابِه.

الاحتباك المتشابه (هو الذي يقع الحذف فيه بين ألفاظ متشابهة) (أسعد، 2006م، 58) مع ذكر ما يدل عليهما، ويُفهم اللفظ المحذوف من اللفظ المذكور في الجملة المقابلة. ففي قوله تعالى: "يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ ۗ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ ۗ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ" (الأنفال: 65) نجد الاحتباك في هذه الآية في: "إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ ۗ" وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا"، ففي الجملة الأولى، حُذِفَ وصف "من الذين كفروا" لأن الجملة الثانية ذكرته، وفي الجملة الثانية، حُذِفَ وصف "صابرة" لأن الجملة الأولى قد ذكرته. وهذا الحذف المتبادل هو ما يسميه البقاعي (الاحتباك) وتقدير الاحتباك: (إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ ۗ [من الذين كفروا] وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ [صابرة] يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا).

الأبعاد البنيوية والدلالية:

يتجاوز الاحتباك كونه حذفاً بلاغياً ليصبح تحويلاً بنيوياً يخدم دلالة تشريعية عميقة، ويُنشئ رابطاً شرطياً ملازماً بين الثبات الإيماني والنصر الموعود.

1- القيمة البلاغية والتحول البنيوي: تكمن القيمة الجمالية والبنيوية للاحتباك في تحقيق الاقتصاد اللغوي من خلال

اختصار الجملة إلى حدها الأدنى، مع تحميلها أقصى قدر من المعنى. وقد أكد الألويسي أن (في النظم الكريم صنعة الاحتباك) (الألويسي، 1997م، 228/5) وهو ما يدل على أن هذا الحذف المتبادل هو قمة الإحكام في النظم القرآني. كما يُشرك الاحتباك القارئ في عملية بناء المعنى، فهو يُجبره على استدعاء العنصر المحذوف من الجزء المقابل، وهذا التفاعل الذهني يزيد من تأثير النص في النفس. ويُعلل ابن عاشور الإيجاز بكونه نابغاً من البنية المتقابلة بين الأعداد التي توضح المعنى في كل شطر، مُشيراً إلى أن فصل الجملة الشرطية الأولى كان (لِأَنَّهَا لَمَّا جُعِلَتْ بَيِّنَاتٍ لِإِجْمَالِ كَانَتْ مُسْتَأْنَفَةً اسْتِثْنَاءً بَيِّنَاتٍ)، (ابن عاشور، 1984م، 66/10) وهذا الفصل البنيوي هو ما يُمهّد لتأسيس قاعدة الاحتباك.

2- الدلالة البنيوية لشرط الصبر: إن حذف وصف "صابرون" من الشطر الثاني حذف بليغ، يُشير إلى دلالة بنيوية تفيد بأن الصبر قد أصبح صفة لازمة ومؤصلة في هوية المؤمنين، لا تحتاج إلى تكرار، وهذا يرفع الشرط من كونه فعلاً طارئاً إلى كونه ركيزة إيمانية في هوية المقاتل. ويُعلّق البغوي على صياغة الغلبة كخبر شرطي (إِنْ يَكُنْ... يَغْلِبُوا) بالقول إن (وَهَذَا خَبْرٌ بِمَعْنَى الْأَمْرِ) (البغوي، 1420هـ، 308/2)، مما يؤكد أن هذا الإخبار بالنسب العددية هو تشريع إلزامي وواجب بالثبات على قتال نسبة الواحد للعشرة، مما يرفع من قيمة هذا التركيب إلى وجوب التحريض على القتال بهذه النسبة.

3- تكرار الأعداد والمقصد التشريعي: تضمنت الآية مثالين عدديين (200/20 و 1000/100) وعلى الرغم من كفاية المثال الأول لتأسيس قاعدة الواحد للعشرة، يُعلّل أبو السعود هذا التكرار ب (لزيادة التقرير المفيدة لزيادة الاطمئنان) (العمادي، د.ت، 34/4)، وقد أوضح الشوكاني أن هذا التكرار العددي يرسخ قاعدة استمرارية الحكم الواحد للعشرة، مؤكداً أن هذه القاعدة (جَارِيَةٌ فِي كُلِّ عَدَدٍ)، وينتقل الشعراوي إلى طرح سؤال منطقي يتبادر إلى الذهن حول أسلوب القرآن، لماذا ذكرت الآية أمثلة مفصلة ("عشرون يغلبوا مائتين"، "مائة يغلبوا ألفاً") بدلاً من الإيجاز بعبارة "الواحد يغلب عشرة"؟ (الشعراوي، 1997م، 4794/8) ويُجيب بأن التفصيل القرآني هنا ليس مجرد تكرار، بل هو مراعاة لواقع التشكيلات القتالية في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، يقول الشعراوي: (أما البعثات القتالية التي لم يخرج فيها الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكان يكتفي فيها بإرسال عدد من المؤمنين، فقد كانت تسمى سرايا، وهذه السرايا كانت لا تقل عن عشرين مقاتلاً ولا تزيد على مائة، فذكرها الله تعالى مرة بالعشرين ومرة بالمائة) (الشعراوي، 1997م، 4794/8) وهذا التحليل يمثل عمقاً في التفسير يربط بين الآية القرآنية والواقع التاريخي الجهادي، مُظهراً أن كل لفظة قرآنية لها سند واقعي أو تشريعي.

الأبعاد الأسلوبية:

يتجلى الأسلوب في الآية في ترتيب الحذف الواعي للعناصر، والتناغم الإيقاعي للألفاظ، والتعليل البلاغي الذي يفسر التفوق المادي بخلل معنوي في العدو.

1- الأسلوب في ترتيب الحذف ودلالاته النفسية: يتمثل الأسلوب في اختيار القرآن الكريم أن يبدأ بذكر السبب الداخلي للنصر (الصبر)، ثم يختم بذكر سبب هزيمة العدو عدم الفقه، وهذا الترتيب الأسلوبية يحمل دلالة نفسية هادفة؛ حيث يوجه المؤمن إلى التركيز على قوته الداخلية أولاً (الصبر والثبات)، ثم ينظر إلى ضعف عدوه الخارجي (عدم الفقه)، وهذا يمنحه دفعة نفسية قوية. وإن الإبقاء على كلمة "صابرون" في الموضع الأول يحمل دلالة التوكيد الأولي على مفتاح النصر قبل الانتقال إلى التفصيل العددي. فالنصر في هذه الآية مشروط بنيويًا بـ "صِفَةِ الصبر"، وهذا الشرط هو الحارس على البنية الإلهية للوعد، وقد أجاب الشوكاني عن سؤال الواقع، قائلًا: (وَأَجِيبُ عَنْ ذَلِكَ بِأَنَّ وُجُودَ الْإِخْفَاقِ فِي الْخَارِجِ لَا يُخَالِفُ مَا فِي الْآيَةِ لِاحْتِمَالِ أَنْ لَا تَكُونَ الطَّائِفَةُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ مُتَّصِفَةً بِصِفَةِ الصبر) (الشوكاني، 1414هـ، 370/2). وهذا يرسخ أن الخلل ليس في الوعد، بل في تحقق الشرط. كما أشار الألويسي إلى أن النصر مقيد بـ (بإذن الله) (الألويسي، 1997م،

228/5) مما يربط النصر بالمشيئة الإلهية، رافعاً الأمر عن مجرد القوة البشرية. ويكمن المقصد النهائي للتشريع هنا في ربط النصر المطلق بقوله تعالى: "وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ" هذه المعية الإلهية هي قانون إلهي ينص على أن من كان الله معه لا يُغلب، وهي مقترنة بالصبر كصفة عامة، مما يجعل النصر حتمياً لمن استوفى الشرط. هذا التفصيل يوضح أن التحدي ليس تعجيزياً، بل هو ممكن بسبب العون الإلهي.

2- النظم الصوتي والتناغم الإيقاعي: يركز ابن عاشور بشكل كبير على الجانب الأسلوبي، وهو ما يتجلى في تحليله الدقيق لاختيار الألفاظ وترتيب الجمل ومراعاة الجمال الصوتي والإيقاع وفواصل الآيات، حيث يقول: (أَمَّا اخْتِيَارُ لَفْظِ الْعِشْرِينَ لِلتَّعْبِيرِ عَنْ مَرْتَبَةِ الْعِشْرَاتِ دُونَ لَفْظِ الْعِشْرَةِ؛ فَلَعَلَّ وَجْهَهُ أَنَّ لَفْظَ الْعِشْرِينَ أَسْعَدُ بِتَقَابُلِ السَّكَنَاتِ فِي أَوَاخِرِ الْكَلِمِ لِأَنَّ لِفِظَةِ مَائَتَيْنِ مِنَ الْمُنَاسِبَةِ بِسَّكَنَاتِ كَلِمَاتِ الْفَوَاصِلِ مِنَ السُّورَةِ، وَلِذَلِكَ ذَكَرَ الْمِائَةَ مَعَ الْأَلْفِ، لِأَنَّ بَعْدَهَا ذِكْرَ مُمَيِّزِ الْعَدَدِ بِالْفَافِ تَأْسِبُ سَّكَنَاتِ الْفَاصِلَةِ). (ابن عاشور، 1984م، 68/10) يركز ابن عاشور في هذا النص على جانب النظم القرآني والتناغم الصوتي والموسيقى الداخلية، وهو لا ينظر إلى الكلمات من ناحية معانيها فحسب، بل من ناحية إيقاعها وتأثيرها الصوتي على السمع، فيربط أسلوبياً بين اختيار كلمة "عشرين" وكلمة "مائة" بمسألة "تقابل السكّنات في أواخر الكلم"، وهي قضية صوتية تتعلق بجمال النطق، كما يرى أن كلمة "عشرين" تتناسب صوتياً مع كلمة "مائتين" في الجملة نفسها، وتتوافق مع فواصل الآيات في سورة الأنفال بشكل عام، وهذا التناغم الصوتي يضفي على الآية جمالاً إيقاعياً، مما يجعلها أكثر سلاسة في القراءة والحفظ. وتطبق هذه الفكرة على اختيار كلمة "مائة" في الجزء الثاني من الآية، ويوضح ابن عاشور أن هذه الكلمة تتناسق مع الكلمات التي تليها، مثل "ألفاً"، ومع كلمة "لا يفقهون" في نهاية الآية، وهذا الانسجام الصوتي دليل على أن القرآن الكريم قد أحكمت ألفاظه بحيث تتكامل من الناحيتين الدلالية والصوتية. فالاختيار اللفظي في القرآن يخدم غرضاً جمالياً إيقاعياً، فكل كلمة تُوضع في مكانها بدقة لكي تتناغم مع ما قبلها وما بعدها، وهذا يُعزز فكرة أن القرآن نص مُعجز، لا يمكن تبديل آية كلمة فيه دون الإخلال بجمال نظمه. كما يُعدّ هذا التناغم الصوتي جزءاً أساسياً من الأسلوب القرآني الفريد، فالقرآن يخاطب العقل بالمعنى، ويخاطب الوجدان بالنغم والإيقاع، وهذا ما يُميّزه عن أي نص آخر. وابن عاشور يُبين أن هذه الجمالية هي جزء لا يتجزأ من الإعجاز البلاغي للقرآن. وعندما يتناغم النص صوتياً، يصبح له تأثير أقوى على المتلقي، فالتناغم الصوتي يُسهّل الحفظ ويُعمّق الفهم، ويُشعر السامع بالراحة النفسية، وهذا يُساعد في إيصال الرسالة الإيمانية بفاعلية أكبر.

3- الذروة الأسلوبية في ربط النصر بالفقه: يمثل قوله تعالى: "بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ" الذروة الأسلوبية التي تفسر الغلبة بعبارة معنوية، وذكر ابن عاشور أن استخدام اسم الموصول (الذين) في قوله تعالى "الَّذِينَ كَفَرُوا" أسلوب بلاغي دقيق يحمل دلالة تحليلية، فالأسماء الموصولة في اللغة العربية تستخدم لربط الجمل، ولكنها في القرآن تحمل أبعاداً دلالية أعمق، فاستخدام "الذين كفروا" بدلاً من مجرد (الكفار) يربط صفة (الكفر) بالصفة التي ستأتي لاحقاً في الآية، (لِإِيْمَاءٍ إِلَى وَجْهِ بِنَاءِ الْخَبَرِ الْأَتِيِّ، وَهُوَ سَلْبُ الْفَقَاهَةِ عَنْهُمْ) (ابن عاشور، 1984م، 68/10) يعني ابن عاشور أن استخدام هذا الاسم الموصول يمهد للسبب الذي سيذكر لاحقاً، وهذا الكفر هو السبب المباشر لسلب "الفقه" عنهم. فالعلاقة ليست مجرد وصف، بل هي علاقة سببية. واستخدام اسم الموصول في هذا الموضع له عدة دلالات مهمة: دلالة التعليل، فالاسم الموصول يعمل هنا كأداة تعليل ضمنية، فهو يربط الكفر بعدم الفقه، ويُعلّل النصر على هؤلاء القوم بهذا السبب. ودلالة الإحاطة والشمول، فاستخدام "الذين" يُفيد أن كل من ينتمي إلى هذه الصفة (الكفر) فهو يتصف بعدم الفقه في الأمور الخفية المتعلقة بالإيمان. ودلالة الملازمة، حيث يوحي هذا الأسلوب بأن هناك ملازمة بين الكفر وغياب الفقه الصحيح للأمر. فالذي لا يؤمن بالغيب، لا يمكن أن يفقه حقيقة الصراع الذي يتجاوز المادة والعدد. لذلك، فإن اختيار "الذين

كفروا" جزء من النظم القرآني الذي يُفسر أسباب النصر والهزيمة في المعارك. ويرى الزمخشري أن عبارة "لا يُفْقَهُونَ" تعني الجهل بالهدف الأسمى من القتال، فالكفار يقاتلون كالبهائم (بسبب أنهم قوم جهلة يقاتلون على غير احتساب وطلب ثواب كالبهائم، فيقل ثباتهم) (الزمخشري، 1987م، 2/235) يقاتلون من أجل أسباب دنيوية كالعصبية القبلية، والكبرياء، ولذلك يفقدون للثبات الحقيقي، فالمؤمن يقاتل على بصيرة، أي يرى بقلبه ما لا يراه غيره، فيثق بنصر الله، وهذا اليقين يمنحه ثباتاً لا يُقهر. ويرى الزمخشري أن الكافرين يقاتلون بلا "احتساب" طلب ثواب، ولذلك فهم يستحقون خذلان الله وعقابه.

4- الأسلوب في توظيف المجاز اللغوي: يحمل الفعل "حَرَضَ" دلالة أسلوبية أعمق من مجرد الحث، فهو مُشتق من (الحَرَض)، وهو الإشراف على الهلاك بسبب المرض. وهذا المجاز اللغوي يرفع دلالة التحريض إلى المعافاة من الهلاك، بمعنى أن القتال والثبات هو عملية إزالة للضعف المعنوي والنجاة من الهلاك الوجودي، مما يجعله أسلوباً بلاغياً قوياً في شحن النفوس بالدافعية. وقد ربط الشيخ أحمد المراغي في تفسيره التوجيه القرآني بالتحليل الاجتماعي والوجودي، ليرفع معنى القتال من مجرد فريضة إلى ضرورة طبيعية وإصلاحية. لذلك لم يكتفِ بالتفسير الفقهي (خبر بمعنى الأمر) أو العقدي (الجهالة مقابل البصيرة)، بل أضاف بُعداً بنيوياً وفلسفياً يجعل الأمر بالقتال سُنَّةً طبيعية لازمة للحياة البشرية، ويُرسخ أن الأمر بالقتال ليس فقط لدفع ظلم، بل هو (من ضرورات الاجتماع البشري وسنة التنازع في الحياة والسيادة) (المراغي، 1946م، 30/10) وهذا الربط يُعدّ إضافة بنيوية، حيث يضع الحكم الشرعي (الجهاد) ضمن الإطار الكوني والاجتماعي، مُخرِجاً إياه من كونه مجرد تكليف خاص بالمسلمين إلى قانون وجودي لا مفر منه لتحقيق العدل والسيادة، ويستخدم المراغي أسلوباً يجمع بين الحث والتحذير من التراخي في خلاصة تحليله لمعنى التحريض (حثهم على ما يقيمهم أن يكونوا حرضاً أو يكونوا من الهالكين بعدوان الكافرين عليهم) (المراغي، 1942م، 30/10) وهذا التعبير يربط النصر الخارجي على العدو بالنجاة الداخلية من الهلكة والضعف، وهذا يمثل تحليلاً نفسياً للتحريض يجعله وقاية ذاتية قبل أن يكون حرباً.

ثالثاً: الاحتباك المتناظر.

هو الاحتباك الذي (يقع بين ألفاظ بينهما صفات مشتركة) (أسعد، 2006م، 63) يقع هذا الاحتباك بين لفظين يجمعها حقل دلالي واحد، أو بينهما اتساق وانسجام في بعض الصفات، فالتشابه ليس كلياً في اللفظ والمعنى لكنه جزئي. والاحتباك المتناظر هو حذف لفظين منسجمين، فيدل اللفظ المذكور في كل جزء على اللفظ المحذوف من الجزء الآخر، ففي قوله تعالى: "فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّاباً" (النصر: 3) نجد في هذه الآية القرآنية انسجاماً بين ألفاظ الذكر والعبادة، فذكر في الجزء الأول من الآية لفظ (واستغفره) وحذف لفظ (غفاراً)، وذكر في الجزء الثاني لفظ (تواباً) وحذفت عبارة (ثب إليه)، والتقدير العام للاحتباك في هذه الآية: "فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ [إنه كان غفاراً]، [وتب إليه] إِنَّهُ كَانَ تَوَّاباً". فالاحتباك جزء أساسي من نظم الآية الذي يخدم هدفاً أكبر في السورة، فسورة النصر تأمر النبي بالاستغفار بعد إتمام رسالته، ونظم الآية يربط بين الذكر (التسبيح والحمد) والتواضع والتقصير (الاستغفار)، والاحتباك يبرز هذا التلازم بين الكمال والتقصير بشكل بياني عميق، فيؤكد أن أي انتصار إلهي يجب أن يتبعه استغفار؛ لأن الإنسان مهما بلغ من الطاعة لا يخلو من التقصير، وهذا النظم البديع يعكس التوازن بين الحمد لله على النعمة والاستغفار من الذنب ولرفع المكانة، وكلاهما يُتَوَجَّح بتوبة الله ورحمته.

الأبعاد البنيوية والدلالية:

يركز هذا العنوان على أن الاحتباك (الحذف المتقابل) يخدم بنية الآية ككل، حيث يربط بين الأوامر المذكورة التسبيح والاستغفار، والمعاني المحذوفة الأمر بالتوبة وتعليل الاستغفار في بناء واحد محكم.

1- الاحتباك عنصر بنيوي محوري: ينظر المنهج البنيوي إلى النص كبناء متكامل، تعمل أجزاؤه كوحدة واحدة. وفي سياق آية سورة النصر، يظهر الاحتباك كعنصر بنيوي أساسي يربط بين الأوامر المذكورة وبين المعاني المحذوفة، وهذا الترابط يُعد تجسيداً حياً لنظرية النظم، حيث يكمن إعجاز النص في العلاقات والروابط بين الألفاظ. فبنية الآية محكمة؛ إذ إن العلة "إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا" لا تفسر فقط الأمر المذكور بالاستغفار، بل تمتد وظيفتها البنيوية لتعليل التوبة المحذوفة، مما يجعلها بمثابة محور يجمع كل أجزاء الآية في بناء واحد لا يمكن فصله، فالإكتفاء بذكر الاستغفار، مع إيراد علة المغفرة (التواب)، يؤكد على أن هذا الحذف هو جزء من بناء لغوي دقيق، وأن الحذف لم يُخلَّ بالبنية، بل أكملها وأحكمها. كما أن استخدام "تَوَّابًا" بدلاً من "غفارًا" المحذوفة، هو اختيار بليغ يخدم البناء؛ فـ "التَّوَابُ" تعني الذي يقبل توبة عباده مرارًا وتكرارًا، بينما "الغفار" تعني الذي يستر الذنوب، وهذا التركيز على "التوبة" يعطي دلالة أعمق، وهي أن الحق سبحانه وتعالى لا يكتفي بالمغفرة، بل يريد من عباده أن يعودوا إليه.

2- بنية الأوامر المركبة (التسبيح والتحميد والاستغفار): تعتمد بنية الآية على تركيب إنشائي ثلاثي الأركان يمثل اختصاراً للمنهج التعبدي بعد تمام النصر، وهي: التسبيح، والتحميد، والاستغفار. وقد أمرت بـ "فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ"، (وهذا الدمج البنيوي يُنشئ وحدة تعبدية، فالجمع بينهما يعني أن التسبيح لا ينبغي أن يفصل عن التحميد) (العمادي، د.ت، 209/9). وهذا التكامل يمثل الاعتراف بكمال الله المطلق. وهذا البناء يضع قاعدة بنيوية للمؤمن فبعد الفتح والنصر لا يكون الاغترار بالقوة، بل يجب أن يتحول النصر إلى عبادة مزدوجة تجمع بين التنزيه والشكر. ويرى الشنقيطي أن هذا الاقتران البنيوي يؤكد أن النصر يستوجب التسبيح لعظم القدرة، كما يستوجب الحمد لشكر عظيم المنة، حيث يقول: (نِعْمَةٌ تَسْتَوْجِبُ الشُّكْرَ وَيَسْتَحِقُّ مَوْلِيَهَا الْحَمْدَ) (الشنقيطي، 1995م، 140/9)، وبالنظر إلى الاختيار البنيوي في ربط البنية باسم (الرب) يوضح الشنقيطي أن صفة (الربوبية) في قوله: "بِحَمْدِ رَبِّكَ" (لِيُشْعِرَ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ الْمَوْلَى لِلنِّعَمِ لِأَنَّ صِفَةَ الرَّبُّوبِيَّةِ مُشْعِرَةٌ بِالْإِنْعَامِ) (الشنقيطي، 1995م، 141/9) وهذا التركيز على اسم (الرب) يُرسخ أن الأمر بالعبادة نابع من علاقة الرعاية والمنة التي أسسها الحق سبحانه وتعالى مع نبيه. وأوضح أبو حيان الأندلسي أن هذا الترتيب يمثل قوام أمر الدين من الجمع بين الطاعة والاحتراس من المعصية، (وَالأَمْرُ بِالِاسْتِغْفَارِ مَعَ التَّسْبِيحِ تَكْمِيلٌ لِأَمْرِ بِمَا هُوَ قَوَامٌ أَمْرِ الدِّينِ مِنَ الْجَمْعِ بَيْنَ الطَّاعَةِ وَالِاحْتِرَاسِ مِنَ الْمَعْصِيَةِ، وَلَيَكُونَ أَمْرُهُ بِذَلِكَ مَعَ عِصْمَتِهِ لَطْفًا لِأُمَّتِهِ، وَلِأَنَّ الْإِسْتِغْفَارَ مِنَ التَّوَاضُّعِ وَهَضْمِ النَّفْسِ، فَهُوَ عِبَادَةٌ فِي نَفْسِهِ). (أبو حيان، 2000م، 564/10) وهذا التزاوج يشكل توازناً فريداً؛ فبعد أن ارتفع العبد إلى أوج إثبات كمال ربه، يُؤمر فوراً بهضم النفس والتواضع من خلال الاستغفار، وبذلك يكون الاستغفار عبادة في نفسه يمارسها حتى النبي المعصوم ليكون لطفاً وتعليماً للأمة.

3- بنية التعليل الختامي: لقد خُتمت الآية باسم الله التَّوَابِ، وهو تعليل للأمر بالاستغفار والتوبة المحذوفة، وهذا البناء يربط الأمر (الاستغفار) بصفة الله (التَّوَابِ)، ليضمن للمستغفر القبول، فإله عز وجل (مبالغاً في قبول توبتهم فليكن كُلاً تائبٍ مستغفرٍ متوقفاً للقبول) (العمادي، د.ت، 209/9)، وقد أشار الشوكاني إلى أن البنية الأساسية للآية بنية شرطية محذوفة: "إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ" يليه "فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَعْفِرْهُ"، فالخلاف النحوي حول العامل في "إذا" هل هو "جاء" أم "سبح" يُوجه الانتباه إلى تلازم الحدث والعبادة، والإمام الشوكاني يرجح الرأي الذي يجعل العبادة لاحقة (إذ تقديره: فسبح بحمد ربك إذا جاء نصر الله) (الشوكاني، 1414هـ، 624/5) وهذا التقدير البنيوي يثبت أن العبادة هي رد الفعل المنطقي والواجب بعد النعمة العظمى، مما يجعلها تتجاوز مجرد الأمر إلى كونها قانوناً إيمانياً. ويوضح الشوكاني أن ("بِحَمْدِ رَبِّكَ" في محل نصب على الحال أي متلبساً بحمده) (الشوكاني، 1414هـ، 624/5) وهذه البنية النحوية تؤسس لوحدة لا تنفصم بين التنزيه والشكر؛ فالتسبيح يجب أن يكون مصحوباً بالحمد، فكأن التسبيح (نفي النفاص) لا يكتمل إلا بالحمد (إثبات

الكلمات). فالتفاعل بين المنهجين الأسلوبي والبنوي ليس منعزلاً عن دلالات السورة، فسورة النصر تُشير إلى اقتراب أجل النبي صلى الله عليه وسلم بعد إتمام رسالته، لذلك يربط نظم الآية بين نصر الله الذي يستوجب الحمد والتسبيح، والاستعداد للقاء الله الذي يتطلب التوبة والاستغفار، ويعبر الاحتباك الفني عن هذه الدلالة السامية، فيجعل الأوامر متلازمة في البنية والأسلوب، مما يوصل رسالة عميقة بأن النصر يتبعه تواضع، وصورة التواضع تكون بالتسبيح والحمد والاستغفار. قال السعدي (كان صلى الله عليه وسلم يتأول القرآن، ويكثر أن يقول في ركوعه وسجوده: (سبحانك اللهم وبحمدك، اللهم اغفر لي") (السعدي، 2000م، 936).

الأبعاد الأسلوبية:

يعنى المنهج الأسلوبي بالكشف عن الخيارات اللغوية الدقيقة التي تُضفي على النص جمالاً وتأثيراً خاصاً. وقد برز الاحتباك كخيار أسلوبى واعٍ لتحقيق إيجاز بليغ وتكثيف للمعنى.

1- الأسلوب الإشاري والتوديع: يرتقي أسلوب الآية من الأمر بالعبادة إلى أسلوب التلويح والترميز والإشارة الخفية لقرب انتهاء مهمة الرسول صلى الله عليه وسلم، وتتمثل الجمالية الأسلوبية الأعمق في هذه السورة، في كونها سورة التوديع والنعي، كما أشار إلى ذلك الحسن وقتادة والرازي. فالإخبار بالفتح العظيم (دخول الناس في دين الله أفواجا) يتبعه أمر الاختتام بالعبادة. وهذا الترتيب يولد مفارقة بلاغية؛ بدلاً من أن يكون النصر بداية لمرحلة جديدة من العمل الدنيوي، جعل نهاية مرحلة ودعوة لختم العمر بصالح العمل. وأشار الشوكاني إلى أن السورة (إِعْلَامُ اللَّهِ رَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَدْ اقْتَرَبَ أَجَلُهُ فَأَمَرَ بِالتَّسْبِيحِ وَالتَّوْبَةِ لِيُخْتِمَ لَهُ فِي آخِرِ عُمُرِهِ بِالرِّيَاةِ فِي الْعَمَلِ الصَّالِحِ) (الشوكاني، 1414هـ، 625/5) وهذا التحليل يؤكد أن الآية جمعت بين البناء الوجيز المُحكّم والعمق الأسلوبى الدال على تمام التشريع والنبوة.

2- أسلوب التكثيف الدلالي: ويُعد أسلوب التكثيف الدلالي في الأمر بالاستغفار من أعظم فنون الإيجاز القرآني، حيث يجعل الأمر الواحد صالحاً لأكثر من نية ومقصد تشريعي في آن واحد، مما يخدم النبي صلى الله عليه وسلم والأمة في لحظة واحدة. وقد أشار الشوكاني إلى ثلاثة أبعاد تحقق هذا التكثيف: الاستغفار كعبادة محضة تخص النبي صلى الله عليه وسلم، وتجعله في أعلى مراتب العبودية، فالاستغفار هنا (تَعَبُّدٌ تَعَبَّدَهُمُ اللَّهُ بِهِ، لَا لِطَلْبِ الْمَغْفَرَةِ لِذَنْبٍ كَائِنٍ مِنْهُمْ) (الشوكاني، 1414هـ، 624/5)، بل هو تعبير عن كمال العبودية المطلقة. والاستغفار كأمر وتنبيه للأمة، ويمثل هذا الأمر أسلوباً بلاغياً بديعاً في التوجيه بالقدوة، فالرسالة الضمنية هي (تَنْبِيْهُهَا لِأَمْتِهِ وَتَعْرِضًا بِهِمْ، فَكَأَنَّهُمْ هُمْ الْمَأْمُورُونَ بِالِاسْتِغْفَارِ) (الشوكاني، 1414هـ، 624/5)، والاستغفار كشفاة، وهنا يتحول الاستغفار إلى وظيفة قيادية ورحمة من النبي لأتباعه، فالأمر (لِأَمْتِهِ لَا لِذَنْبٍ) (الشوكاني، 1414هـ، 624/5)، ليثبت عمق العناية النبوية بأمته في ختام حياته. كما يُعزز الشنقيطي هذا الأسلوب بـ الاستقراء النبوي، مُستدلاً بسياقات توبة الأنبياء ليثبت أن الاستغفار منهج نبوي، و(التَّوْبَةُ دَعْوَةُ الرُّسُلِ) (الشنقيطي، 1995م، 141/9) ومن خلال هذا السرد يفهم أن أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالاستغفار يماثل طلب إبراهيم عليه السلام "وَتُبَّ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ النَّوَابُ الرَّحِيمُ" (البقرة: 128) مما يؤكد أنه طلبٌ لتثبيت المقام وزيادة الخير، (رَفَعَ لِرَجَائِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) (الشنقيطي، 1995م، 142/9)

3- أسلوب التزكية: يُقدم الإمام القاسمي والمراغي تحليلاً فريداً يخرج بالاستغفار من معناه التقليدي لتكفير الذنوب الظاهرة، إلى معنى نفسي وروحي عميق. حيث يفسران الاستغفار في هذا السياق بأنه طلب المغفرة لما (كان من القلق والضجر والحزن، لتأخر زمن النصر والفتح) (القاسمي، 1418هـ، 560/9) وهذا يضع عوارض النفس البشرية في خانة ما يستوجب التوبة والمغفرة، فالهدف هو تكميل الثقة بوعدهم الله وتغليبها على خواطر النفس التي تثيرها الشدائد، وكذلك يرى المراغي أن الاستغفار هنا ليس لذنوب ظاهرة، بل هو طلب المغفرة لضعف الثقة الذي يظهر في خواطر النفس وقت الشدة

فالمراد بـ "وَأَسْتَغْفِرُهُ" (واسأله أن يغفر لك ولمن اتبعك من أصحابك ما كان منهم من القلق والضجر والحزن والأسى لتأخر النصر) (المراغي، 1946م، 259/30). ويُشير المراغي إلى أن التوبة من هذا القلق (إنما تكون بتكميل الثقة بوعده الله، وتغليبها على خواطر النفس التي تحدثها الشدائد، وإن كان ذلك مما يشق على نفوس البشر) (المراغي، 1946م، 259/30) وهذا يضع الأمر بالاستغفار كهدف تربوي لرفع النفس البشرية إلى أقصى درجات الثقة واليقين حتى في أصعب الظروف.

4- التعجب اللاشعوري: يحمل التسبيح المقترن بالحمد بعض المعاني التعبيرية العفوية مثل التعجب الشديد، والسرور العظيم بالنعمة، والدهشة الروحية من تيسير الله أمراً (لَمْ يَكُنْ يَخْطُرُ بِبَالِهِ وَلَا بَالِ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ) (الشوكاني، 1414هـ، 624/5)، وهذا الأسلوب يجعل التسبيح ليس مجرد قول، بل تعبيراً عن الشعور الطاغي بالعظمة الإلهية عند رؤية النعمة، فهو ترجمة فورية للفرح والدهشة بالقدرة القاهرة على الأعداء، (وَتُرْوَلِ الدِّلَّةَ بِهِمْ وَحُصُولِ الْقَهْرِ لَهُمْ) (الشوكاني، 1414هـ، 624/5). فالتسبيح هنا هو رد فعل لا شعوري يفيض من القلب عند رؤية عظيم صنع الله وتيسيره لما لم يكن ليخطر على بال. إنها العبادة التي تُعبّر عن الربط بين العاطفة والإيمان، وهذه النكتة اللطيفة توّضح أن التسبيح (سُبْحَانَ اللَّهِ) في سياق النصر والفتح لا يؤدي وظيفته المعتادة تنزيهه الله عن كل نقص، بل يحمل وظيفة إضافية هي التعبير عن الذهول الروحي والسرور العميق بالنعمة التي تفوق التصور البشري. فالجمالية هنا تكمن في تحرير العبادة من الرتابة، فالتسبيح يأتي كرد فعل لا شعوري بعد وقوع الحدث الجلل، "إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ" هذا الترتيب الزمني يحوّل التسبيح من فعل روتيني إلى رد فعل انفعالي تلقائي ومفاجئ يصدر عندما يرى القلب عظمة الصنع الإلهي. فدهشة النصر وفتح مكة كان بالنسبة للصحابة والنبي صلى الله عليه وسلم أمراً عظيماً ومدهشاً، لأنه جاء بعد إخراج، وعداوة، وسنوات من الكفاح. فعندما يرى الإنسان ما لم يكن يخطر بباله قد تحقق بتيسير إلهي مطلق، يكون أول ما يرتسم على لسانه هو "سُبْحَانَ اللَّهِ!". وهذا التسبيح لا يعني التنزيه، بل يعني: (يا لعظمة قدرتك يا الله!) وهذا الأسلوب يرسخ أن الإيمان ليس عقائد جافة، بل حالة وجدانية حية تتفاعل مع أحداث الكون والحياة، وهذا هو الجمال الروحي أن تجعل العبادة هي الترجمة الفورية لسرور القلب ودهشته أمام قدرة الخالق سبحانه وتعالى.

رابعاً: الاحتباك المنفي المثبت.

يحدث هذا النوع من الاحتباك (بين ألفاظ العلاقة بينهما قائمة على النفي والإثبات) (أسعد، 2006م، 68) ويقع هذا النوع بين لفظين أو عبارتين، تجمعهما علاقة النفي والإثبات، وفي هذا الاحتباك يُحذف من الجزء الأول ما هو مثبت لدلالة النفي عليه في الجزء الثاني، ويُحذف من الجزء الثاني ما هو مثبت لدلالة النفي عليه في الجزء الأول. ومن أمثلته في القرآن الكريم قوله تعالى: "يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ." (الشورى: 18) يمثل الاحتباك في هذه الآية في حذف أجزاء من الجملتين المتقابلتين. فالحديث في هذه الآية عن حال طائفتين من قيام الساعة. فإذا نظرنا إلى الجزء الأول من الآية "يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا" فقد حُذفت من الجزء الأول العبارة المنفية [لا يشفقون منها] لدلالة العبارة المثبتة عليها "مُشْفِقُونَ" في الجزء الثاني. كما حُذفت من الجزء الثاني "وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا" العبارة المنفية [لا يستعجلونها] للدلالة عليها في الجزء الأول بالعبارة المثبتة "يَسْتَعْجِلُ". وعندما نقسم الآية لجزئين لمعرفة تقدير الاحتباك: نجد تقدير الجزء الأول: "يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا" [ولا يشفقون منها]. وتقدير الجزء الثاني: "وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا" [ولا يستعجلون بها]. فالكافرون يستعجلون قيام الساعة سخرياً وإنكاراً، وهذا الاستعجال يعني عدم إشفاقهم أو خوفهم من يوم الحساب، بينما المؤمنون لا يستعجلون قيام الساعة، بل هم خائفون ووجلون منها؛ لعلمهم بأهوالها وما فيها من حساب وجزاء. قال الألوسي: (فالإشفاق عناية مختلطة بخوف، فإذا عُدي بمن كما هنا فمعنى الخوف فيه أظهر، وإذا عُدي بعلی فمعنى العناية أظهر، وعنايتهم بها لتوقع الثواب). (الألوسي، 1997م، 27/13).

الأبعاد البنوية والدلالية:

يركز هذا البعد على أن البنية الأساسية للآية تعتمد على تقابل الأفعال والسلوكيات بين الفريقين، وتعمل المحذوفات كروابط سببية لإقامة حجة منطقية متكاملة.

1- بنية التقابل والتوازي التركيبي: نقيم الآية توازناً بنوياً يجعل كل حكم في الشطر الأول يُقابلُه ضده في الشطر الثاني، مما يرسخ ثنائية معرفية حاسمة. حيث تُقابل الآية فعل "يَسْتَعْجِلُ" الذي ينبع من الاستخفاف والإنكار، مع وصف "مُشْفِقُونَ" الذي فسره البغوي بقوله: (أَيَّ خَائِفُونَ، مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ، أَنَّهَا آيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا) (البغوي، 1420هـ، 4/142) الذي ينبع من التقدير واليقين. وهذا التضاد السلوكي يوضح تفاوت نظرة الفريقين للمستقبل؛ فبينما يستهزئ فريق بجدية الأمر، يتجهز الفريق الآخر له بمنتهى الحذر. وكذلك تقابل الآية بين الظنّ الباطل بأن الساعة غير آتية وبين اليقين والعلم بأنها الحق. وهذا البناء يؤسس لثنائية معرفية؛ فالكفر يستند إلى الجهل والتوهم، والإيمان يعتمد على اليقين والمعرفة. فالبنية هنا تخدم غرضاً عقدياً منطقياً، وهو إظهار فساد عقلية المكذب؛ فلو آمن بها ولو ظناً لما استعجلها، ولو استعجلها لم يكن خائفاً. ويُضيف المراعي تحليلاً بنوياً مُركّزاً على حالتين متلازمتين هما: الإشفاق من الساعة واليقين بأنها حق، وهذا البناء يؤسس لسلوك المؤمن على توازن فريد بين الخوف والرجاء، (حيث إن اليقين يؤدي إلى الاستعداد والعمل، بينما الخوف يُبقي المؤمن على حذر دائم). (المراعي، 1946م، 32/25)

2- الاحتباك والبنية العميقة والسطحية: يعمل الاحتباك كـ "جسر" يربط بين اللفظ المكتوب (البنية السطحية) والمعنى الكامل (البنية العميقة) ليحكم بناء النص ويجعله متماسكاً، فالبنية العميقة المُقدّرة: [يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها لأنهم لا يخشونها، والذين آمنوا مشفقون منها ولذلك لا يستعجلون بها]. ويؤكد الألوسي الاحتباك بقوله: (الآية من الاحتباك، والأصل يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها فلا يشفقون منها، والذين آمنوا مشفقون منها فلا يستعجلون بها وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ) (الألوسي، 1997م، 13/27) وتكمن جمالية الاحتباك هنا في التأثير النفسي والفني؛ فالاحتباك أداة فنية لصنع توازن في الآية، حيث إن استعجال الكافرين يبدو أسوأ عندما يُقابل بإشفاق المؤمنين، وإشفاق المؤمنين يكتسب قيمته عندما يُقارن بطيش الكافرين. هذا التقابل السريع يزيد من وضوح الفارق بين البصيرة العمياء والبصيرة المستنيرة. ويرى البقاعي أن (اعتقاد الكافرين بأنها الباطل يقابل يقين المؤمنين بأنها الحق) (البقاعي، 1984م، 17/283) وهذا الربط البنيوي يعزز التماسك المنطقي للآية ويُبرز أن الأجزاء المذكورة والمحذوفة هي جزء من حجة واحدة.

3- بنية الحجة المنطقية والروابط السببية: بنية الآية ليست مجرد وصف، بل هي إقامة لحجة منطقية، حيث يربط النظم بين السبب (الإيمان/الكفر) والنتيجة (الإشفاق/الاستعجال)، فالاحتباك رابط معنوي محكم. ويوضح البقاعي أن كلمات القرآن مرتبة بطريقة منطقية تُحاكي علاقة السبب والنتيجة؛ فجهل الكافرين هو السبب الأول الذي أدى إلى استعجالهم ويأسهم من الحق، بينما إيمان المؤمنين هو السبب الذي أدى إلى إشفاقهم. وهذا الربط السببي المحكم هو جوهر نظرية النظم عند الجرجاني، لذا، ففهم هذه العلاقة بين السبب والنتيجة هو ما يجعلنا نرى أن الآية ليست مجرد وصف، بل هي حجة وبناء منطقي متكامل.

الأبعاد الأسلوبية:

يبرز المنهج الأسلوبي الخيارات اللغوية الدقيقة التي وظّفها القرآن لتحقيق أثر بلاغي معين، حيث يُعد الاحتباك خياراً أسلوبياً بليغاً لإحداث المقابلة والتكثيف.

1- الأسلوب البليغ للإيجاز والتبادل الدلالي: الاحتباك في هذه الآية خيار أسلوبية يخدم غرض الإيجاز المكثف، فهو

أكثر إعجازاً من الحذف المعروف. وقد أشار البقاعي إلى أن هذا الحذف هو تبادل دلالي: (ذكر الاستعجال أولاً دليلاً على حذف ضده ثانياً، والإشفاق ثانياً دليلاً على حذف ضده أولاً) (البقاعي، 1984م، 283/17) ويعتمد الاحتباك على الإيحاء، فهو يُلزم المتلقي على استنتاج المعنى المحذوف، وهذا الإيحاء أبلغ من التصريح. فالاستعجال يقتضي عدم الخوف، والإشفاق يقتضي عدم الاستعجال، وهذا الربط الذهني يُعمق الأثر البلاغي للآية ويُرسخ المعنى في الذهن. كما يعزز الاحتباك أسلوب المقابلة (التضاد) بشكل بديع، فإنه لا يكتفي بعرض المتناقضات، بل يدمجها في بنية واحدة، مما يجعل التناقض أكثر وضوحاً وأبلغ تأثيراً.

2- أسلوب التجريد والعمق النفسي: تتميز الآية بأسلوب مؤثر يستخدم البلاغة لتصوير الحالات النفسية والإدراكية بدقة متناهية. استخدمت الآية لفظ "مُشْفِقُونَ" لوصف حال المؤمنين، وهو أسلوب يفوق مجرد (الخوف). فالإشفاق أسلوبياً يحمل معنيين هما: الخوف من العقاب، والحذر الممتزج بالاهتمام والرعاية. ويفسر الشوكاني الإشفاق بأنه (خوف المحسن الذي يخشى أن لا يُقبل منه عمله، وليس خوف المسيء الذي يخشى العقاب، ويربطه بآية "وَقَلُوبُهُمْ وَجَلَّةٌ") (الشوكاني، 1414هـ، 609/4) فالأسلوب القرآني يصف حالة داخلية عميقة ويرفع من قيمة الخوف إلى قيمة إيمانية متقدمة. ويوظف سيد قطب أسلوب التصوير لوصف الحالة النفسية لكل فريق، فيصور الكافرين مستهترين لأنهم محجوبون، بينما يصف المؤمنين بأنهم (يشفقون ويخافون وينتظرونها بوجل وخشية) (قطب، 2003م، 3151/5)، وهذا يربط الفعل بمصدره القلبي والدوافع الخفية.

3- الأسلوب الرديعي وبنية الإدانة: بعد تفصيل حال الفريقين، تنتقل الآية إلى حكم عام وشامل على جميع المشككين والمجادلين، باستخدام أدوات التوكيد والزّرع، فالحكم يشمل كل من "يُمارُونَ في السّاعة" ويجادلون فيها. وقد اهتم أبو السعود بتأصيل لفظ "يُمارُونَ"، فربطه بـ "المراية" (الاستخراج والمُشادة)، وشبه الجدال بأنه عملية عنيفة يسعى فيها كل طرف (لاستخراج ما عند صاحبه بكلام فيه شدّة) (العمادي، د.ت، 28/8)، وهذا التشبيه يعكس حدة الجدل الذي يقوم به الكافرون، ويُضفي بُعداً حركياً على مفهوم المخاصمة. كما أن جملة (لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ مُؤَكَّدَةٌ بِإِنَّ وَاللّامِ الْمَزْحَلَّةِ، مما يرسخ الحكم ويُضفي عليه قوة اليقين المطلق. ويُعلّل الألوّسي وصف الضلال بـ "البعيد"؛ لأنّ البعث أقرب الغائبات بالمحسوسات (كإحياء الأرض بعد موتها)، (فمن لم يهتد إليه فهو عن الاهتداء إلى ما وراءه أبعد وأبعد) (الألوّسي، 1997م، 27/13) وهذا يربط الإيمان بالغيب بالمشاهدة الحسية ويجعل الشك في الساعة دليلاً على عمق الضلال.

4- أسلوب الاستدلال الكوني واليقظة القلبية: تُعد هذه الآية مرجعاً روحياً لتحديد ماهية اليقظة القلبية وسبيلها، حيث إن الإيمان بالأخرة ليس مجرد إيمان غيبي مُطلق، بل هو استدلال منطقي مُدرك بالتفكير في الآيات الكونية. ويطرح الشوكاني الدليل الروحي الأقوى: (وَلَوْ تَفَكَّرُوا لَعَلِمُوا أَنَّ الَّذِي خَلَقَهُمْ ابْتِدَاءً قَادِرٌ عَلَى الْإِعَادَةِ) (الشوكاني، 1414هـ، 609/4)، مما يحول الشك في الساعة إلى جهل بقدرة الخالق على الإعادة، وهذا يرسخ أن الشك هزيمة عقلية قبل أن تكون هزيمة إيمانية. وتكمن الجمالية الروحية للإشفاق في أنه يمثل الإيمان في أنقى صورته، لأنّ اليقين بأنها الحق هو ما يدفع المؤمن إلى العمل والاستعداد الدائم، وهذا الإحساس بالمسؤولية الوجودية هو النواة الروحية للعمل الصالح. إن الاحتباك المتناظر أداة إعجازية ربطت بين التقابل المعنوي (الاستعجال والإشفاق) والحجة المنطقية (اليقين مقابل التكذيب)، وجمعت بين الوصف العميق لحالة القلب الإيمانية (الإشفاق) والتحذير المطلق من الجدل العقيم.

خامساً: الاحتباك المشترك.

الاحتباك المشترك هو الذي يجمع كل أنواع الاحتباك السابقة (الضدي، والمتشابه، والمتناظر، والمنفي المثبت)، وأُطلق عليه (المشترك) لأنه يجمع كل أنواع الاحتباك تحت جناحيه، لذلك يكون تقابل الألفاظ فيه مختلفاً ومتنوعاً، حيث يجتمع

في الكلام متقابلان فيحذف من الأول ما يدل عليه نفيه في الثاني، ومن الثاني ما يدل عليه ضده في الأول، أو يحذف من الأول ما يدل عليه مثله في الثاني، ومن الثاني ما يدل عليه ضده في الأول، أو بين المتشابه والمتماثل، ومن أمثله في القرآن الكريم قوله تعالى: "إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ" (الأنعام:36) يجتمع في هذه الآية الاحتباك المنفي المثبت والاحتباك الضدي، وتقدير الاحتباك في الآية: "إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ [الأحياء] الَّذِينَ يَسْمَعُونَ، وَالْمَوْتَى [الذين لا يسمعون] يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ"

الأبعاد البنيوية والدلالية:

يعمل المنهج البنيوي على توضيح أهمية الاحتباك في إحكام بناء الآية وتماسكها، بوصفه أداة هندسية تربط بين البنية السطحية الظاهرية للنص وبنية الذهن العميقة الكاملة.

1- الاحتباك يربط بين البنيتين: يعمل الاحتباك في الآية كجسر يربط بين البنية العميقة والبنية السطحية، مما يحقق تماسكاً نصياً ودقة في النظم. فالبنية السطحية هي الكلمات الظاهرة "إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ" أما البنية العميقة، فهي المعنى الكامل في الذهن "إنما يستجيب [الأحياء] الذين يسمعون، والموتى [لا يستجيبون الآن، ولكن] سيبعثهم الله فيستجيبون". ويوضح البقاعي كيفية تبادل الألفاظ المذكورة للدلالة على الألفاظ المحذوفة، حين قال: "فالآية من الاحتباك، حذف من الأول الحياة لدلالة "الموتى" عليها، ومن الثاني السماع لدلالة "يسمعون" عليه (البقاعي، 1984م، 103/7) إن نظم الآية يُحقق غاية البنيوية ببراعة، فيُغني عن التصريح الكامل، ويُوصل المعنى بشكل أكثر فاعلية. وينشئ الاحتباك روابط معنوية بين الأجزاء؛ فكلمة "يَسْمَعُونَ" في الشطر الأول هي الرابط الذي يُشير إلى أن المحذوف في الشطر الثاني هو عدم السماع (مجازاً)، وكلمة "وَالْمَوْتَى" هي الرابط الذي يُشير إلى أن المحذوف في الشطر الأول هو "أحياء"، وهذا التلازم بين البنيتين يُظهر أن الاحتباك أداة هندسية لغوية تُحقق أقصى درجات الإيجاز مع الحفاظ على التماسك الكامل.

2- بنية الحصر والقصر والتأسيس: لقد بُنيت هذه الآية على قوام منطقي مُحكم يهدف إلى تصنيف البشر حسب استجاباتهم للحق، ويعتمد هذا القوام الثابت على بنية الحصر والتشبيه البليغ والإيجاز اللفظي. حيث تبدأ الآية بأسلوب الحصر والقصر باستخدام أداة "إنما" وهذا البناء يخدم غرضاً بنيوياً دقيقاً، وهو قصر الاستجابة على السامعين، "إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ"، كما يلغي وهذا الحصر إمكانية الاستجابة والانتفاع بالذكر والدعوة من أي فئة أخرى. ويتمثل التأسيس للسمع الفقهي في أن المقصود هنا ليس السماع بالأذان، بل السماع الذي يُتبعه فقه وتطبيق، وقد أكد البغوي هذا التفسير بقوله: "(يَعْنِي الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ الذِّكْرَ فَيَتَّبِعُونَهُ وَيَتَّبِعُونَ بِهِ دُونَ مَنْ حَتَمَ اللَّهُ عَلَى سَمْعِهِ) (البغوي، 1420هـ، 122/2) وهذا يرفع من قيمة الفاعلية العقلية للمؤمن في بنية الخطاب القرآني.

3- بنية الاستعارة ونظم الحجة: تعتمد الآية على بنية إنشائية دقيقة لتحديد مصدر الفشل الإدراكي، مع تفعيل بنية تشبيهية بليغة. فلفظ "وَالْمَوْتَى" هو تشبيه حذفي بليغ (استعارة تصريحية تبعية) للذين لا يسمعون (الكفار)، حيث يشبه جهلهم بموتهم. فمن لا يسمع سماع الانتفاع، هو في حكم الميت. ويرى أبو السعود أن هذا الجزء (تمثيلاً لاختصاصه تعالى بالقدرة على توفيقهم للإيمان باختصاصه تعالى بالقدرة على بعث الموتى من القبور) (العمادي، د.ت، 130/3) وهذا التفسير يحل البنية على أنها تشبيه مركب للقدرة الإلهية، فكما أن البعث من الموت الحقيقي يختص بالله، كذلك إخراج الكافر من موت الجهل يختص به سبحانه. ويقابل حال الكفار في الدنيا موتى القلوب بـ "وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ" في الآخرة، وهذا الترتيب البنيوي يربط بين الموت المجازي والموت الحقيقي؛ فمن لا ينتفع بحياته (الموت القلبي) سيواجه حتماً مصير البعث للحساب، وهذا هو العمود الفقري للتوبيخ والزجر. وقد أكد القاسمي أن الآية ليست مجرد تشبيه، بل هي حكم

قاطع (يُخرج إيمان هؤلاء الكفار من دائرة التوقع البشري، ليرفع العبء النفسي عن الداعية) (القاسمي، 1418هـ، 349/4).

الأبعاد الأسلوبية:

تتمحور الأبعاد الأسلوبية للآية حول الاحتباك كخيار معجز لتحقيق التكتيف والإيجاز بأقصى درجات الاقتصاد اللغوي، والتركيز على دلالات الألفاظ والتشبيه البليغ.

1- الاحتباك أداة أسلوبية للتكتيف والإيجاز: يُعدّ الاحتباك في الآية خياراً أسلوبياً بليغاً يحقق أعلى درجات الاقتصاد اللغوي (الإيجاز) مع الحفاظ على المقابلة المتبادلة بين طرفي الجملة، وقد اختار القرآن الكريم أسلوب الإيجاز المُكثَّف، الذي هو جوهر الاحتباك، بدلاً من القول الكامل: "إنما يستجيب [الأحياء] الذين يسمعون، والموتى [لا يستجيبون ولكن] يبعثهم الله". كما اعتمد القرآن على أسلوب الإيحاء، فالإيجاز الاحتبائي يحفز ذهن المتلقي على استنتاج العلاقة، ويُشعره بعمق المعنى المُتضمّن. فالنص لم يقل "إنهم لا يسمعون" ولكنه أشار إلى حقيقة أنهم "أموات"، وهذا الإيحاء أبلغ وأقوى.

2- جمالية التجريد الأسلوبية: يركز الأسلوب القرآني على تشبيه الكفار بـ "الموتى" كأداة استعارية بليغة ترسخ الموت القلبي وتُجرد الكافر من صفة الحياة ذات القيمة. فلفظ "والموتى" هو استعارة للكفار، (بِجَمَاعِ أَنَّهُمْ جَمِيعًا لَا يَفْهَمُونَ الصَّوَابَ وَلَا يَعْقِلُونَ الْحَقَّ) (الشوكاني، 1414هـ، 128/2) وهذا التعبير الأسلوبية إلغاء لصفة الحياة الحقيقية عن الكافر؛ فحياته الجسدية لا قيمة لها ما لم تُترجم إلى حياة إدراكية وعقلانية. وقد أكد البقاعي أن هؤلاء قد (ساووا الموتى في عدم قابلية السماع للختم على مشاعرهم) (البقاعي، 1984م، 101/7) مما يؤكد أن "الموت" ليس حقيقياً، بل هو موت معنوي. ويرى القاسمي أن في تسميتهم "موتى" (تهكماً بهم وإزرأً عليهم) (القاسمي، 1418هـ، 349/4)، وهو تعليق بلاغي يُبرز قوة اللفظ القرآني في الذم والتجريد من صفة الحياة الموصولة بالوحي.

3- الفروق الأسلوبية بين (يستجيب وأجاب): يتجلى التفريق الأسلوبية في اختيار الفعل (يَسْتَجِيبُ) ليدل على الطاعة المقرونة بالتنفيذ والتحقيق الفعلي، مقابل (الإجابة) التي تعني الرد الشكلي. ويشير الشعراوي إلى دلالة زيادة المبنى وزيادة المعنى عندما يوضح أن الفرق بين الإجابة والاستجابة هو أن الأخيرة (بزيادة السين والتاء) تعيد الطلب والقبول والتنفيذ، فهي: (أن يجيبك من طلبت منه إلى ما طلبت ويحققه لك، أما الإجابة فهي مجرد الرد وقد يكون بالرفض)، (الشعراوي، 1997م، 3603) فالمطلوب من المؤمن اتحاد حسن الاستماع مع انفعال الحب لتنفيذ ما سُمع. ويؤكد أبو حيان مستشهداً برأي الرُّماني بأن صيغة "استجاب" تفيد قبولاً لما دُعي إليه، أي أن الاستجابة تحمل معنى الإيجابية والموافقة والتحقيق، بينما الفعل "أجاب" (لا يحمل بالضرورة هذا القبول، إذ قد يُجيب الشخص بالمخالفة أو الرفض) (أبو حيان، 2000م، 498/4) وهذا يرسخ أن الاستجابة الحقيقية مُقتصرة على من يمتلكون الاستعداد الفطري، وقد لُخص هذا القبول الكلي بكلمة "يَسْمَعُونَ". وتفرد المراغي بالإشارة إلى أن القرآن الكريم (استعمل أفعال الإجابة في المواضع التي تدل على حصول المسئول دفعة واحدة، واستعمل أفعال الاستجابة في المواضع المفيدة لحصول المسئول بالتهيؤ والاستعداد) (المراغي، 1946م، 110/7)، وهذا يُعدّ دليلاً على دقة النظم القرآني في اختيار الألفاظ للدلالة على الزمن وحركية الفعل. وذكر أبو حيان نقلاً عن ابن عطية أن هذا الخطاب يأتي في سياق التسلية للنبي صلى الله عليه وسلم، فالفكرة الأساسية هي: (لا تُحفل بمن أعرض، فَإِنَّمَا يَسْتَجِيبُ لِذَاعِي الْإِيمَانِ الَّذِينَ يَفْهَمُونَ الْآيَاتِ وَيَتَلَقَّوْنَ الْبُرَاهِينَ بِالْقَبُولِ) (أبو حيان، 2000م، 498/4) فالاستجابة الحقيقية مُقتصرة على من يمتلكون الاستعداد الفطري، وقد لُخص هذا القبول الكلي بكلمة "يَسْمَعُونَ"، كون السماع هو الطريق الأولي لمعرفة النبوة والمعجزات.

خاتمة البحث:

لقد تجاوز البحث المفهوم التقليدي للاحتباك كحذف بلاغي بسيط، ليظهره كآلية لغوية دقيقة بديعة تخدم أغراضًا بنيوية، وأسلوبية، ودلالية. وتبين من خلال التحليل التطبيقي للآيات الخمس المختارة أن الاحتباك خيار بلاغي مقصود يهدف إلى: إحكام البناء النصي للآية، وخلق ترابط عضوي بين أجزائها، بحيث يكون المحذوف حاضرًا في ذهن المتلقي، مما يُعزز من تماسك النص. وتحقيق أقصى درجات التركيز والتكثيف اللفظي، مع الحفاظ على وضوح المعنى، مما يُولد أثرًا جماليًا ونفسيًا فريدًا. وإضافة طبقات من المعنى غير المباشر والإيحاءات، وفتح آفاق للتأويل، حيث يُصبح المعنى الكامن في الحذف لا يقل أهمية عن المعنى المصرح به.

إن هذا التفاعل بين الأبعاد الثلاثة يُؤكد أن الاحتباك جزء من هندسة لغوية بديعة، تتفق مع نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني، التي ترى أن إعجاز القرآن يكمن في نظمه وتأليفه، لا في كلماته المفردة. ويبرهن هذا البحث على أن المناهج اللغوية الحديثة يمكن أن تكون أدوات فعّالة لاستكشاف أسرار القرآن وإعجازه، مما يفتح الباب أمام المزيد من الدراسات المستقبلية التي تتناول ظواهر بلاغية أخرى من منظور مشابه.

التوصيات:

بناءً على نتائج هذه الدراسة، يُوصى بما يلي:

- تناول ظاهرة الاحتباك في نصوص عربية أخرى غير القرآن الكريم، مثل الشعر الجاهلي والحديث، لمقارنة طرق توظيفها وأغراضها البلاغية.
- استخدام المنهج الأسلوبى والبنيوي والدلالي في تحليل ظواهر بلاغية أخرى في القرآن، مثل الالتفات، والتقديم والتأخير، والفصل والوصل، وغيرها.

ثبت المصادر والمراجع:

- 1- القرآن الكريم.
- 2- ابن عاشور، محمد الطاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير، تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، الناشر: الدار التونسية للنشر - تونس سنة النشر: ١٩٨٤هـ.
- 3- ابن هانئ، الشيخ الإمام سري الدين إسماعيل بن محمد بن محمد بن علي بن هانئ اللخمي الأندلسي، شرح ألفية ابن مالك، تحقيق ودراسة أحمد بن محمد بن أحمد بن محجوب ذيبان القرشي، رسالة دكتوراه، العام 1414هـ - 1994م.
- 4- أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف، البحر المحيط في التفسير، الناشر: دار الفكر - بيروت عام النشر: ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
- 5- الألوسي، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ضبطه وصححه: علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.
- 6- البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، تفسير البغوي، المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.

- 7- البقاعي، برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، الناشر: دائرة المعارف العثمانية، تحت مراقبة: د محمد عبد المعيد خان، الطبعة: الأولى، (١٣٨٩-١٤٠٤هـ) (١٩٦٩-١٩٨٤م).
- 8- الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، كتاب: المفردات في غريب القرآن، المحقق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، دار الشامية - دمشق بيروت الطبعة: الأولى - ١٤١٢ هـ
- 9- الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م
- 10- الرّعيني، شمس الدين أبو عبد الله جابر محمد بن جابر الأندلسي الهوّاري، الخُلة السّيراء في مدح خير الورى، تحقيق على أبو زيد، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثانية: 1405 هـ - 1985م.
- 11- الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، الطبعة: الأولى، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧م، ثم صورته دار المعرفة، بيروت، لبنان.
- 12- الزّمخشري، محمود بن عمر بن أحمد الزّمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ضبطه وصححه ورّبه: مصطفى حسين أحمدن الناشر: دار الريان للتراث بالقاهرة - دار الكتاب العربي ببيروت الطبعة: الثالثة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م.
- 13- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠م.
- 14- السمعاني، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد السمعاني، تفسير القرآن، المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، الناشر: دار الوطن، الرياض - السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧م.
- 15- سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، الملقب سيبويه، الكتاب، المحقق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م.
- 16- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، تحقيق وضبط: عبد الحميد ضحا، عُقُودُ الجُمَانِ فِي عِلْمِ المَعَانِي وَالنَّبَاتِ، الناشر: دار الإمام مسلم للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢م.
- 17- الشريف الجرجاني، علي بن محمد بن السيد الشريق الجرجاني، التعريفات، تحقيق ودراسة محمد صديق المنشاوي، الناشر: دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير، مصر - القاهرة.
- 18- الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الناشر: دار الفكر للطباعة لبنان، عام النشر: ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥م.
- 19- الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، فتح القدير، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٤ هـ.
- 20- العمادي، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، تفسير أبي السعود، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.

- 21- القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق، محاسن التأويل، المحقق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ.
- 22- قطب، سيد قطب، في ظلال القرآن، الناشر: دار الشروق القاهرة - بيروت، الطبعة الشرعية الثانية والثلاثون، 1423 هـ - 2003 م.
- 23- المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي، تفسير المراغي، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الأولى، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م.